مئة حديث شريف من أخيار وشرح

الإمام

زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي

صاحب "مختار الصحاح"

اعتنى بها

محمد بن عبد الله أحمد

(أبو الفضل القونوي)

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohamad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title : Kanz al-Hikma

Classification: Explanation

Author : Mohammed ben Abi Bekr al-Razi

Editor : Mohammed ben Abdullah Ahmed

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages : 160 عدد الصفحات: 160

Size : 17 * 24 cm قياس الصفحات: 17 * 24 cm

Year : 2012 A.D. -1433 H. سنة الطباعة: 2012 م - 1433 هـ

Printed in : Lebanon بلد الطباعة: لبنان

Edition : 1st الطبعة: الأولى

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Solok Beirut 1107 2260

عرمون القبة مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +961 5 804 810/11/12
فاكس: +961 5 804813
ص.ب: 11-9424 بيروت لبنان
بيروت الرياض 1107 2260

ISBN 978-2-7451-7175-7
ISBN 2-7451-7175-5

جميع الحقوق محفوظة
2012 A.D. -1433 H

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أما بعد :

فهذا كتاب (كنز الحكمة) مِن كتب الإمام، نَزيل عاصمة سلاجقة الأناضول قونية، الزَّيْن الرَّازي، المعروف بـ (صاحب مختار الصِّحاح)، والكتابُ مختصَرٌ جمَع فيه المؤلِّفُ مئةَ حديثٍ من الأحاديث الصِّحاح عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلم، بعد أن روَى الأصول السِّتَّة في (جامع الأصول) بالإسناد المتَّصِل إلى النَّبي، صلى الله عليه وسلَّم، ثُمَّ شرَحَ ما رآه يُشْكِل مِن لفْظ كل حديثٍ ومعناه، عَقيب ذِكْره، وكان اقتصاره فيه على المئة - كما قال المؤلف في مقدِّمته - لِيَسْهُلَ على طلَبة العلم نقْلُه وحفظه.

والمؤلف عَلَم لم يَنَلْ ما يستحقُّه من الاهتمام، وقد أسهمْتُ في تسليط بعض الضوء على ترجمته، فكان ما كتبته مصحِّحًا لما تناقله طلاب العلم من ذلك اعتمادًا على دراسة عبدالله مخلص (ت١٣٦٧هـ)، ومن تابعه عليها. والله تعالى أسأل أن ينفع به القارئ ، ويتقبَّله ممن أخرجه من عالم المخطوطات إلى المطبوعات. هذا، وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. لربِّنا المِنَّة والفضل، والحمدُ له حقَّ حمده.

وكتب محمد بن عبد الله أحمد

المدينة المنورة

في ١٨/٣/١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

أضواء على ترجمة المؤلف

أقربُ المصادر التي تكلَّمَتْ على المؤلف زمنًا، واستعنتُ بها في ترجمتي له، ما وَقَفتُ عليه من سمَاعات كتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول) في قونية، وما وصَل إلينا مِن كتبه بخطِّه، وخطِّ تلاميذه، أو غيرهم [1]، وكتاب (مناقب العارفين)[2] لشمس الدين أحمد الأفلاكي القونوي، المتوفَّى سنة ٧٦١هـ، ثم كتاب (الجواهر المضِيَّة) لعبد القادر القُرشي ، المتوفى سنة ٧٧٥هـ[3].

اسمه :

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، زين الدين، أبو عبد الله، الرَّازي [4]، الإمام اللُّغوي، المفسِّر، الفقيه، الأديب.

عصره :

كانت السنوات التي تلَتْ سنة ٦١٦هـ بداية سنواتِ هِجْراتٍ جماعيَّة كثيفة لسُكَّان المدن والقُرى في خراسان وما إليها، إذْ كانت السَّنَة التي انفلَتَتْ

---

(١) وقف على بعضها عبد الله مخلص قديمًا في مبحث عنه ، وعلى بعضها الدكتور حسين ألمالي، ورأيتُ أنا أجزاء منها في مكتبة (يوسف آغا)، في (قونية)، قبل أكثر من عشرين سنة، ثم صورتها من قريب .

(٢) والكتاب بالفارسية، وقد طبع في أنقرة ، وطبعت ترجمة له إلى التركية ، وكل إحالاتي على هذه المترجمة ، وأما نُسَخه الخطية فمتوافرة في دول عدَّة.

(٣) الجواهر المضيَّة ، لعبد القادر القرشي(٣/٩٧). وفيه خطأ سأذكره.

(٤) نسبة على غير قياس إلى مدينة «الرَّيّ» في خراسان. انظر اللباب في الأنساب(١/٣٧٧) .

فيها جحافل المُغْل يكتسِحُون الحضارة، يُقَتِّلون أبناءها، ويدمِّرون آثارها، وأكبر الظنِّ أن المؤلف كان بين الآلاف المؤلَّفة من البَشر الذين فرُّوا من أوطانهم بعد ذلك التاريخ، فكان ممن استقرَّ بهم التّرحال في بلاد الأناضول ، وهي يومئذ تحت حكم السلاجقة، الذين هُزم سلطانهم بعد سنوات قليلة أمام عسكر المغْل في معركة (كَوسَداغ) سنة ٦٤١هـ[١]، وأُدخِلَتْ الدولة السلجوقية بعد ذلك في طاعة مُجْحِفة لغُزاتها مدة طويلة، لم يَتْرك لهم المُغْل فيها سوى اسم السَّلْطَنة، وبقيتْ الحال كذلك حتى كانت سنة ٧٠٧هـ ، حين "طُوِيَ قَيْدُهم" مِن التاريخ![٢]

نشأته:

لا يُعرف متى وُلد مؤلِّفُنا تحديدًا، ولكن بالنَّظَر إلى تكرار عبارةٍ خُصَّ بها، في النُّسَخ الخطيَّة المكتوبة في عَهْده، وهي قول الكاتب الذي جالسه ورآه: «مَدَّ اللهُ في حياته» ، ودعاء تلميذٍ له ناسخٍ بقوله :«متَّعنا الله - مع المسلمين - بطول بقائه» ما يُومئ إلى أنه قد بلغ الشيخوخة وأوْغَل فيها، وكذلك فإن في تقديم اسمه بالذِّكر على أسماء "الجماعة" في طبقة السماع، إشارة إلى أنه كان أكبرهم سنًّا. ولو أنه افتُرِض أنَّ أخْذَه للعِلم عن شيوخه بالرَّيّ ، كان وهو دون البلوغ، وأنه كان قد جاوز العشرين من عُمُره حين أخَذ عن شيوخ (بخارى) و(سَمَرقند)، كما وَردَ ذلك في كتابٍ نُسِب إليه اسمه :(الهداية من الاعتقاد) ، فلا يتَّسِق لنا هذا القول إلا بتعيين شهور سِنِيّ ما قبل سنة ٦١٦هـ، وسنة ٦١٧هـ، أعني قبل أن يَذَرَ المغولُ (بخارى) و(سَمَرقند) قاعًا صَفْصَفًا في ذلكما التاريخ. فالقول: إنَّ مولده كان في عَشْر التسعين وخمسمئة للهجرة، سائغٌ محتمل.

حياته في بلاد الأناضول:

يُفهم من بعض نسخ كتابه (روضة الفصاحة)[٣] للمؤلف أنَّه مكَث زمنًا حين جاء إلى بلاد الأناضول عند (بَنِي أرْتَق)، في قَلْعتهم بـ(مارْدِين)، أيام مَلِكهم: نجم الدين، إيل غازي بن أرْتق، الأوَّل (ت ٦٥٨هـ)، الذي ذَكر المؤرخون عنه

---

(١) الأوامر العلائية، المعروف بـ(تاريخ ابن بي بي) الترجمة التركية (٢/٦٤-٧٢).

(٢) تاريخ السلاجقة ، لعثمان تُوران، (ص ٣٠١).

(٣) وهي نسخة (عاطف أفندي) بإصطنبول برقم (٢٨٠٠). وهي جدُّ مهمَّة.

حَزْمًا وجُودًا، وعُلوَّ هِمَّةٍ [١]، وأنه قد أحسن وِفادتَه، فكان أن أهداه الرازيُّ كتابه المذكور، وجعَله باسْمِه[٢]، ويفهم كذلك أنه رحَل عن (ماردين) قبل وفاة مَلِكها ببضع سنين، وذلك مِن نقْلٍ نقله، مؤرِّخ المولوية، أحمد الأفلاكي ، يُعلم به أن المؤلف كان في مدينة (قونية) سنة ٦٥٦هـ [٣]. ولا يُدرى كم لَبِث عند (بَنِي أرْتَق)؟ ولعل سبب تركه إياها كان خشيةً مما سيقع قبل وقوعه، أعني تَسلُّط المغْل عليها، وقد كان !

هل رحل المؤلف إلى مصر؟

قد تكون رحلة المؤلف - المزعومة - إلى مصر، كانت في سنوات رعاية (بني أرتق) له، وقلت "المزعومة" لأني قد رأيت المصدرَيْن اللذين يسْمَحان بفَهْم ذلك يصْحَبُهما المانع منه أيضًا، أمَّا المصدر الأول، فقد كتب الشيخ عبد القادر القرشي - والقرشي مَن انتقده الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٤هـ) حين ترجم له بالقول:«كتَب الكثير ، ولم يكن بالماهر!»[٤]- كتَب اسمَ جَدِّ المؤلِف (عبد المحسن!)، وإنَّما هو (عبدالقادر)، وجاء إلى ترجمة فقيه آخَر وابنه وحفيده ، كان تشابه الأسماء والألقاب بينه وبين المؤلف لافتًا للانتباه بحقٍّ، فصَنع شبيه ذلك فيها وزيادة، فكتَب في ترجمة "الفقيه الأب" أنَّ اسمَ جدِّه (عبد القاهر)، ثمَّ خالف ذلك في ترجمة "الفقيه الابن"، و"الفقيه الحفيد" فجعله (عبدالقادر)، هكذا : (محمد) بن (عمر) بن محمود بن أبي بكر بن عبد القادر بن أبي بكر الرازي! فإذا قرأتَ قوله في ترجمة الفقيه الابن (عمر) : إنه وُلد بمصر سنة ٦٤٥هـ، قلت في نفسك : فالأبُ (محمود) لم يولد في مصر إذن ، فهو من النازحِين إليها من خراسان، مِن بلد مؤلفنا (الرَّيِّ) أو من غيرها، ويُخبرك أن (عمر) هذا تَفقَّه بمصر على عمِّه الإمام زين الدين أبي بكر! فلا تدري هل أراد أن يكتب: الإمام زين الدين (محمد) بن أبي بكر،

---

(١) ذيل المرآة، لليونيني (١٤/٢) ، وتاريخ الإسلام، للذهبي (٨٧٦/١٤).

(٢) تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان (القسم الثالث ص٧٣٥)، وحسين ألمالي ، مقدمة تحقيقه لكتاب : تفسير غريب القرآن العظيم ، للمؤلف الرازي (ص ٢٥) .

(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (٣٥٩/١).

(٤) الدرر الكامنة، لابن حَجَر (٢٣٨/٢). قلت: وإنَّ ترجمة مؤلِّفنا لنَمَط مِن ذلك الذي انتقده الحافظ!

فأدركه السَّهو ، ثمَّ لم يَستدرك أو يُستدرك عليه، فبقيتْ كذلك، ونقلَها عنه الناقلون، أو كان أمرًا سوى ذلك؟ وقد علمتَ ما في الناس مِن حُبِّ تسمية أولادهم بأسماء آبائهم، وبخاصة إن كان الآباءُ من العلماء، فيُخبرنا صاحب الطبقات القرشي أن لمحمود حفيدًا لُقِّبَ وسُمِّيَ بزين الدين محمد![1]، وهنا سؤالٌ صَعُب عليَّ القطع بجَوابه: هل " محمد الرازي" – المؤلف - و "محمود الرازي" أخوان، أوْ هو تشابه الأسماء والأنساب ؟!

ثُمَّ جاء المقريزيُّ مِن بعده فذَكر في كتابه (المقفّى الكبير) ما جعَل الظنَّ بأنهما أخوان أمرًا مستبعدًا حين ساقه في (المحمَّدِين)، وأنه وُلد بدمشق، ويحسن أن أنقل كلامه بحروفه لتحكُم حكْمَك، قال:« أبو عبد الله الرازي الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر بن عبد الرحمن، الرازيُّ الأصل، الدمشقيُّ المولد، أبو عبد الله ، الحنفي. ولد بدمشق في يوم الجمعة خامس عشر المحرَّم سنة عشر وستمئة. وقَدِم مصر. ومن شِعره في بِرْكة الحبَش[2]:

إذا زيَّـنَ الحسنـاءَ قُرْطٌ فهذه ... يُزِّينُـها مِن كـلِّ ناحيـةٍ قُرْطُ

ترَقْرَقَ فيـها أَدْمُعُ الطَّلِّ غُدْوَةً ... فقُلْتُ: لآلٌ قَدْ تضَمَّنها قُرْطُ»

وأورد اسمه في (الخِطَط) كما نقلْتُه لك من (المقَفَّى الكبير) غير أنه ليس فيه (عبدالرحمن)، ولا ذكر مكان مولده وتاريخه بل نراه أكمل المعلومة، فقال : «وتوفي بدمشق سنة إحدى وخمسين وستمئة» ، وأن البيتين قالهما أيام الربيع![3]

المؤلف في دار السَّلْطَنة (قُونية):

قُونية « بالضَمِّ ثمَّ السُّكون، ونون مكسورة، وياء مُثَنَّاة مِنْ تحت خفيفة»[4] مدينة

---

(١) الجواهر المضيَّة ، للقرشي (١/٣٩٨، ٢/١٠٥، ١٦٤).

(٢) وبِركة الحَبَش أرضٌ مشْرِفة على نِيل مصر، وليست ببِرْكة للماء، وكانت مِنْ أجَلِّ متَنَزَّهاتِ القاهرة. انظر: معجم البلدان ، ياقوت الحموي،(١/٤٠١).

(٣) المقفى الكبير ، للمقريزي ٥/ ٤٤٠، والخطط له أيضًا :(٢/ ١٥٥).

(٤) معجم البلدان، لياقوت الحموي (٤/٤١٥)، وكتاب كشف القناع المرنى، للعيني (ص ١١٢).

وأفادَ هناك أنها تُلفظ: كونية - أيضًا- وكذلك يَتَلَفَّظُ بها الأتراكُ اليومَ .

مِن مُدُن وسَط بلاد الأناضول (تركيا الآن)، وقد ذَكر خَليفةُ بن خَيَّاط(ت٢٤٠هـ) في تاريخه أنَّ المسلمين غَزَوْها في سنة ٦١هـ[١] ، وافتتحَها مروانُ بن محمَّد سنة ١٠٥هـ[٢]، ولها ذِكْرٌ في المصادر القديمة. ووصفها العَيني (ت٨٥٥هـ) وَصْفَ معاينٍ في تاريخه (تاريخ البَدْر)، في الجزء الأوَّل منه ، إذْ زارها سنة ٨٢٣هـ ، فقال: «قُونية مدينةٌ مشهورة، لها جَبَل في جَنُوبيِّها، يَنزِل منه نَهرٌ، ويَدْخُل إليها مِن غربيِّها، ولها بَساتين مِن جهة الجَبل[٣]، يَقرُب مِنْ ثلاثة فراسخ، وبقَلْعَتِها تُرْبة أفلاطونَ الحكيم، و [فيها] دارٌ للسَّلْطَنة، وإن نهرَها يَسْقِي بساتينها، ثُمَّ يصير عنه بُحَيْرَة ومُرُوجًا، والجبال دائرةٌ بِها مِنْ كلِّ جانب، ويَبْتَعد عنها من جهة الشمال، والفواكهُ بها كثيرةٌ، وهناك المشْمش المعروف بقَمَر الدِّين!»[٤].

وقد يُفاد من وصف هذه البلدة أنه كان ذوَّاقة لجمال الطبيعة، فيُعدّ ذلك في أسباب ترك المؤلف حِصْن (ماردين) وانتقاله إلى سُكْنى حاضِرَةٍ عَيْشُها أرغَد وآنَق، وقبل ذلك أكثر أمنًا. ويَرِد أنه قَدِمها استجابةً لدعوة بلدِيِّهِ القاضي عزّ الدين، أبو المحامد الرازي[٥]، الذي وزَر لسلطان السلاجقة (عز الدين كايْكاوُس)، الثاني، سنة ٦٥٢هـ ، بعد موت وزيره جلال الدين قَرَطاي في ذلك العام، وذلك -إنْ كان ينبغي أن يكون - قبل تَعكُّر علاقات السُّلطة السلجوقية بالمغول، ثمَّ قصْد جيشِ المغْل إلى (قونية) حيث جرَتْ معركة قُتل فيها الوزير القاضي عزّ الدين الرازي ، وتمكَّن السلطان وخُلصاؤه من الفرار من (قونية) في الرابع والعشرين من رمضان سنة ٦٥٤هـ[٦] .

عقيدته ومذهبه :

كان حنفيَّ المذهب، وكتابه (تُحفة الملوك)، المعروف في الفقه الحنفي، خير

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (١/٢٣٥).

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/٧٣٢).

(٣) تُعرف هذه البساتين عند أهل قونية الآن باسم (مَرام).

(٤) تاريخ البدر، مخطوطة، الجزء الأول، (الورقة ٦٢، ٦٣).

(٥) انظر ترجمته في حاشية كتابي : أخبار جلال الدين الرومي، مع تصحيح تاريخ وفاته إلى ٦٥٤هـ (ص ٢٨١).

(٦) مختصر تاريخ آل سلجوق في الأناضول ، لمؤلف مجهول، ص ٣٤، وكتاب : تاريخ قونية ، لإبراهيم حقّي القونوي (٤١٦-٤١٩).

دليل على ذلك. أمَّا عقيدته، فإن صحَّت نسبة ما نُسِب إليه من كتب كلامية، فالظاهر من كلامه فيها أنه كان "ماتُريديًّا" ، كأكثر الحنفية، لكن لا يبدو عليه تعصُّب أهل الكلام المقِيت، فبَيْنا تَراه "يُؤَوِّل" الصفات الإلهية الواردة في الأخبار، كحديث "النُّزول الإلهي" إلى سماء الدنيا - كما في هذا الكتاب - تجده يُصَدِّر قول الجَهْميَّة، ومَن أخَذ برأيهم، في تفسيرهم لكلمة (استوى) في قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] بصيغة التمريض حين قال : « قيل : استَوْلى وظَهَر. قال الشاعر :

قد اسْتَوى بِشْرٌ على العِرَاقِ مِنْ غيرِ سَيْفٍ و دَمٍ مُهْراقِ [١]

وأنكَره ابنُ الأعرابي[٢]، وغيره ، وقال: العربُ لا تقول : "استولى" على الشيء حتى يكون له مضادٌّ فيه ، فأيّهما غَلب ، فقد استولى »، ثم نقَل كلمة الإمام مالك، رحمه الله تعالى، في الآية. [٣]

وكان بَلَدِيُّ المؤلف - المعاصر له - الصوفيُّ ، الشيخ الإمام : نجم الدين عبد الله بن محمد بن شاهاوَر الرازي ، ويُعرف - أيضًا - بالدَّاية (ت٦٥٤هـ)[٤]، أحد تلاميذ نجم الدين الكُبْرى - كعُظْمَى- (ت٦١٨هـ) [٥] ، خيرًا منه في ذلك، فقد كان يَنْحُو وِجْهةً قريبة من الكتاب والسُّنة [٦]، بل إنَّ مِن كلام نجم الدين الدَّاية ما يَدُلُّ على أنه كان من صوفية أهل الحديث في المعتقَد. انظر إليه كيف يُعلِن ذلك في بعض كتبه : «وأنه على العرش استوى، كيف شاء بلا تكييف، استواء يَلِيق بذاتـه، وأنه تعالى يَنـزِل إلى السماء الدنيا ، نُزولًا يوافق صفاته ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ

---

(١) يُنسب البيتُ للأخطل، وليس في ديوانه.

(٢) وأنشد في ذلك قول النابغة :

إلا لمثلـك أو مَن أنـت سابقه سبْقَ الجواد إذا استولى على الأمَدِ

انظر : لسان العرب، لابن منظور (١٤ /٤١٤).

(٣) تفسير غريب القرآن العظيم، للمؤلف، (ص ٥٦١-٥٦٢). وأورد كلمة الإمام مالك في هذا الكتاب أيضًا عند شرح "الحديث الثلاثون".

(٤) تاريخ الإسلام ، للذهبي (٧٥٦/١٤)).

(٥) توضيح المشتبه، لابن ناصر الدين الدمشقي : (١٢/٤).

(٦) انظر : جامع المسائل ، لابن تيمية : (٣٩٢/٤- ٣٩٤).

ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] ، وهو بائنٌ مِن جميع خَلْقه، يحتاج إليه العرشُ وحَمَلَتُه، وهو حامِلُهم بقُدرتِه كيف شاء، غير محتاج إلى شيء مِن خَلْقه.كان الله ولم يكن معه شيء ، له الأسماء الحسنى والصفات العُلى. لا زال ولم يَزَلْ بها موصوفًا، لا أغيار فتفارقه ...، موصوفٌ بما وَصَف به نفْسَه هُوَ ورسولُه ، تعالى الله أن يكون في المخلوقات كما وَصَفَه "جَهْمٌ" ومتَّبِعُوه !!

خلَق آدمَ بِيَدَيْه ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [سورة ص: ٧٥] و(كِلْتا يدَيْه يَمين) كما قال رسول الله ﷺ. ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨] نفَذَتْ مشيئتُه، كما سبَق الأشياء عِلمُه...»[1].

وكذلك كان في تصوُّفه، انظر إليه كيف يُفنِّد مزاعم الصوفية في "العِشق الإلهي" حين قال: «فإن قيل: هل يُوصف الربُّ تعالى بالعِشْق أم لا [2]؟ وهل يوصف العبد بعشق الحقِّ تعالى، أم لا؟ قلنا: إذا فُسِّر العشق بأنه مجاوزة الحدِّ في المحبَّة، فالحقُّ لا يوصف بأنه مجاوز الحدِّ. فلا يُوصَفُ بالعشق. ولو جُمِع مَحَابُّ الخلْق كلهم لشخص واحد لم يَبلغ ذلك استحقاق قدْر محبَّة الحقِّ. فلا يُقال: إنَّ عبدًا جاوز الحدَّ في محبَّة الله، ولا يوصف الحقّ بأنه يُعشق لهذا المعنى ، وهذا قول المشايخ. ولكن إذا فسَّرنا العشق بأنه مجاوزة حدِّ العبد في المحبة لله فهو حقٌّ... ».[3] وغير بعيدٍ أن يكون المؤلف قد أخَذ هذه "السَّلَفية" عن نجم الدين

---

(١) منارات السائرين، لنجم الدين الداية :(ص ٦٧-٧٠)، قلت: تَباينُ صوفيةِ الداية لصوفية الجلال الرومي أمر ظاهر، ومما يعضده خبرٌ للأفلاكي، حكاه عن شيخه، حفيد الجلال الرومي، عارف جلبي (ت٧٢٨هـ) وفيه أنه أُهديتْ له نسخة من تفسير الداية ، لم يكن في الأناضول - وقتئذ - منها نسخة أخرى، فلم يُبْقِها لديه، وأعطاها لأحد الوُعَّاظ. انظر كتاب : مناقب العارفين (٢/٥٢٨-٥٢٩).

(٢) كذا في المطبوعة ، والصحيح القول : (أو لا) إذا ابتدئ السؤال بـ(هل)، لأن (أم) لا يعادلها من أدوات الاستفهام إلا الهمزة .

(٣) منارات السائرين، للنجم داية :(ص٢٢٧-٢٢٨). وكان النجم الداية يحذِّر من الطوائف الصوفية الملحدة من أمثال: القلندرية، والحيدرية، والحريرية ، انظر : منارات السائرين (ص ٥٠٧) ، و روح المعاني، للآلوسي،(٤/ ٧٠)، بينما كان الصوفية المنحرفون مثل الجلال الرومي على مدحها. انظر : مناقب العارفين، للأفلاكي (١/٦٣٤، ٦٩٨).

الداية حين جاء الأخيرُ إلى (قونية)، كما يُستَشفُّ ذلك مِن رواية نقَلَها الصوفيُّ عبد الرحمن الجامي (ت٨٩٨هـ) في (نفَحات أُنْسِه) خلاصتها أنَّ مجلسًا ضَمَّ الإمام الشيخ نجم الدين الداية وجلالَ الدين الرومي(ت٦٧٢هـ) وصدرَ الدين القونوي(ت٦٧٣هـ)، وحضرَتِ المغربُ، وقُدِّم الداية لمكانتِه وسِنِّه إمامًا، فقرأ في الرَّكعتين بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ، فلما قُضِيت الصلاةُ اِلْتفَتَ الجلالُ الروميُّ إلى الصدر القونوي، وقال له : « عنَاك بها في الأُولى، وعنَاني بها في الأُخْرَى! ».[1]، وإذا عرَفنا أنَّ نجم الدين الداية قد تُوفي ببغداد سنة ٦٥٤هـ ، فوجب أن يكون تاريخ هذا اللقاء قبل وفاته بما لا يَقِلُّ عن سَنة مِن الزمان، ومستبعَدٌ أن يأتي إلى (قونية) ضيفٌ كبير الشأن مثله ولا يلقاه المؤلف، وهو بلدِيُّه كما مَرَّ بك، وهو ممن كان على اتِّصال ومعرفة بالصَّدْرِ و بالجلال.

سَجاياه وأخلاقه :

من أوضح ذلك التواضع والرفق. اقرأ قوله : «والمجاهدة بتَرْك المجادلة والمنازعة وإظهار الفضل، وترك التنافس في المجلس، وطلب التصَدُّر أشقّ على بعض فقهاء زماننا من المجاهدة بالصوم والصلاة والمطالعة والتكرار. والمجاهدة من بعض مشايخ زماننا بترك إعطاء يده للناس ليقبِّلُوها أشق عليه مِنْ لُبْس الصُّوف الخَشِن وملازمة السجَّادة مدَّة طويلة» [2].

قال الباحث التركي د. (حسين ألمالي)، في مقدمة تحقيقه لكتاب المؤلف (تفسير غريب القرآن العظيم):« على ما يُفهم مِن آثار الرازي (يعني مؤلفاته) أنه كان عالمًا متواضعًا جدًّا ومتَّقيًا، ويُقدِّم نفْسه عند ابتدائه كتبه بأنه «أضعفُ العِباد وأفقرهم إلى رحمة الله» ، ومن الخصائص التي تدُلُّ على تقواه - أيضًا - أنه عندما يَمُرُّ ذِكْر كلمة متعلِّقة بعذابٍ يستعيذ بالله في الحال، ويَهتمُّ جدًّا بذلك، ويشاهَد في آثاره هذه الصِّفة العالية دائمًا ».

وهذا مَلْحَظٌ صحيحٌ وجيِّد من الدكتور "ألمالي"، وأُضيفُ إليه أنك إن تَطلَّبْتَ مثلهما خَصِيصَتَيْ ثناءٍ، في شخصيَّتين معاصرتين لـه قَدْ نالا مِن الشُّهرة أضعـاف ما

---

(١) نفحات الأُنس، للجامي ، الترجمة التركية (ص ٤٩١).

(٢) حدائق الحقائق، للمؤلف (ص١٩، ٢٢).

نالَه – أعني الجلالَ الروميَّ والصدر القونوي – فإنك لاقٍ مِن ذلـك نُبَذًا يكتُبها أهلُ زمانهـم على سبيل العادة في مصنَّفاتهم، وأمَّا الكُثْرُ الجاذب لاهتمامـك في كلامهما - إن أمعنتَ في تدقيقه وتتبُّعه- فدالٌّ على ضِدِّ ما تحلَّى به المؤلف ! [١]

اشتغاله بالتدريس :

يُفهم أن المؤلف كان مشتغلًا في (قونية) بالتدريس في بعض مدارسها، ويُرجَّح أنه وَلي مشيخة واحدة منها، وأنه استمرَّ كذلك - على أقلِّ تقدير - إلى آخر المحرَّم سنة ٦٦٧ هـ، ويشهد لهذا ما ورد في سماعات كتاب (جامع الأصول)، بخطِّ آصَف بن عبد الله، أحدِ فتيان الصدرِ القونوي، وقارئ الطبقة وكاتبها - أيضًا- فإن خطَّه الحسن على نهايات كل جزء من الكتاب، وقد كان اسم المؤلف في الصدارة دائمًا ، بين أسماء من كانوا يحضرون المجلس، وسُمُّوا بـ(الجماعة) في كل مرةٍ تَقْييدٍ لأسمائهم في آخر أجزاء الكتاب، ومِن شاهِد اشتغاله بالتدريس فيها، ورُجحان كونه شيخ إحدى المدارس ما كتَبه آصَفُ بن عبد الله، في الجزء الثاني من مخطوطة قونية لكتاب(جامع الأصول): «بَلَغ سماع الجماعة مع المولى الإمام العالم زين الدين الرازي، نفع الله به وبهم». و وَصَفه بالقول:« المولى الشيخ العالم الفاضل، سيد العلماء، قدوة الفضلاء ، مَلِك المدرِّسين، زين الدين.....مَدَّ الله في حياته »، وفي جزء آخَر قال : « سيِّد الفضلاء، وقدوة المدرِّسين »[٢]. وجاء وصْفُ الأفلاكيِّ له في كتابه (مناقب العارفين) بما يؤكدهما حين قال عنه : «أستاذ المدرِّسين ، مولانا زين الدين الرازي ، أحد مُقدَّمي علماء الأناضول في عصره »[٣].

مؤلفاته :

هذا ما عُرف من كتبه وما نسِب إليه منها :

١- **مختار الصِّحاح**. انتهى من تأليفه سنة ٦٦٠هـ [٤] وطبعاته كثيرة.

---

(١) انظر كتابي : أخبار جلال الدين الرومي. أو مختصره المسمى : المنتخب من "مناقب العارفين"، أو كتابي : الهابط الغويّ من معاني المثنوي. تجد أمثلة ذلك من روايات الأفلاكي وغيره.

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول ، لابن الأثير، نسخة مكتبة يوسف آغا، في (قونية) (٥٠٥٢ الورقة ٢٨٠).

(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/٣٥٩، ٣٩٨).

(٤) كشف الظنون ، للحاج خليفة (٢/٧٣٦)، والأعلام، للزركلي(٦/٥٥).

٢- **أسْولَة القرآن الكريم وأجوبتها**. مطبوع غير مرة، بأسماء مختلفة، منها نسخة في الخزانة المركزية في (قونية) ، بخطِّ بعض تلاميذه. ويُفهم من نسخة (برلين) أنه أتمَّه سنة ٦٦٨هـ .

٣- **تحفة الملوك**. في الفقه الحنفي ، مطبوع.

٤- **تفسير غريب القرآن العظيم**. بيَّضَ المؤلفُ مُسَوَّدتها سنة ٦٦٣هـ. مطبوع [١].

٥- **الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز**.

٦ - **إشارات القرآن**.

٧- **تفسير سورة الأنعام**.

٨- **زهر الربيع**. اختصر فيه كتاب (ربيع الأبرار) للزمخشري.

٩- **الأمثال والحكم**. مطبوع [٢]

١٠- "**كنوز البراعة" في شرح مقامات الحريري**. وهو أكبر كتبه حجمًا ، ولا أظن أن هذا عنوان المؤلف. منه نسخة في مكتبة مدينة (چورُوم) وأخرى في(إصطنبول).

١١- **كنز الحكمة**. وهو هذا الكتاب .

١٢- **مختصر التحبير**. في التصوف ، وهو مختاره من كتاب «التَّحْبِير» للقُشيري.

١٣- **الهداية من الاعتقاد**. شرح فيه (قصيدة الأمالي) للسِّراج الفرغاني.

١٤- **رسالة في التوحيد** .

١٥- **حدائق الحقائق في مواعظ الخلائق**. مطبوع.

١٦- **روضة الفصاحة**. في البيان والبديع، مطبوع. وأتمُّ نسخها الخطية نسخة (عاطف أفندي برقم ٢٨٠٠) بإصطنبول.

١٧- **دوحة البلاغة**.

١٨- **الأبيات التي يُعتمد عليها**. (ويبدو أنه كتاب :الأمثال والحكم، الذي مَرَّ).

---

(١) نشره د. حسين ألمالي في تركيا معتمدًا على نسخة المؤلف. ولا شك أن تحقيقه أفضل من نشرة د. عبد الله الكندري، المطبوع في الكويت من وجوه.

(٢) منه نسخة في مكتبة (حالت أفندي) برقم ٧٦٩، ونسخة في(مكتبة أياصوفيا) برقم ٣٧٨٤، وله طبعة أخرجها د. عبدالرزاق حسين ، دار النفائس الأردن.

١٩- **معاني المعاني.**

٢٠- **دقائق الحقائق.**

٢١- **التاريخ.** (كذا) ولا أظنها له. [١]

مِن نَظْمه و شعره :

من ذلك أبيات في كتابه: (روضة الفصاحة) أوَّلها :

خَلِيلَيَّ ما هَبَّتْ رياحُ ملامَةٍ على أُذُني إلا تَعُودُ هبَاء

وقوله :

أبْدَى نجومَ الدَّمْعِ بعدَ غُروبها قمرٌ تَغارُ لحُسْنِه الأقمارُ

وقوله:

وكيف يُفِيق القلبُ مِن حُبِّ شادِنٍ ومَن لَفْظُه دُرٌّ ومَن لحظه درُّ[٢]

تلاميذه وأصحابه:

يُفهم أنهم بَيْن مَن كُتبتْ أسماؤهم على الورقة الأخيرة ، لأجزاء كتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول)، من مخطوطة خزانة يوسف آغا في (قونية)، وهم بعد المؤلف:

١- تقي الدين، أحمد بن الأسعد السّنْجاري.

٢- رضي الدين، يوسف بن إسماعيل بن إبراهيم التلعفَري.

٣- نجم الدين، يعقوب بن يوسف القراغاجي.

٤- معين الدين، عبد المجيد بن علي الجيلي.

٥- شهاب الدين، أبوبكر بن محمد ، عُرف بابن الهمذاني.

٦- جمال الدين، محمد بن علي بن أبي نصر، عُرف بابن الأصفهاني.

٧- شرف الدين، إسحاق بن علي القونوي.

قال كاتب الطبقة : « هؤلاء الجماعة هم الأئمة المذكورون – أدام الله بركتهم-

---

(١) من مقدمة تحقيق د. حسين ألمالي لكتاب : (تفسير غريب القرآن العظيم) للرازي.

(٢) من كتابه (روضة الفصاحة) ، نقلًا عن د. حسين ألمالي ، مقدمة تحقيق (تفسير غريب القرآن العظيم) ، (ص٣١، ٣٢).

سمِعوا الكتاب تمامًا من غير عوَز ولا فائت، بفضل الله وحُسن تأييده، منهم من عُلم فائته وأُثبت إلى زمان تيسير الله لاستدراك فواته، ومنهم من جُهل فواته ، فأمَّا الذين فائتهم معلومٌ فهم»:

١- كمال الدين، إسماعيل بن عبد الملك التَّبريزي .

٢- أمين الدين، عبد الله الصوفي.

٣- شمس الدين، محمد بن عمر القونوي.

٤- محيي الدين، الحاج محمد بن الحاج محمود القونوي.

٥- جمال الدين، عمر بن أحمد .

٦- كمال الدين علي بن عبد العزيز، عُرف بابن غازية .

ثم قال : وأمَّا الذين جُهل فواتهم فهم:

١- شرف الدين عمر بن الغزَّال.

٢- زين الدين، محمد بن مسعود .

٣- علاء الدين، علي بن عمر .

٤- جمال الدين، أحمد النقيب.

٥- زين الدين قلمشاه .

ثم ختم الكاتب بقوله: « واتَّفق السماع بقراءة كاتب هذه الطبَقة، آصَف بن عبد الله، عفا الله عنه، وهو أحد فقراء مولانا وسيدنا الشيخ المُسْمِع – دام ظِلُّه – في مدة آخرها آخِر الشَّهر المحرَّم سنة: سبْعٍ وستِّين وستمئة ».

وكتب الصدرُ القونوي تحت هذا بخطِّه : « صَحَّ سماع المذكورِين أعلاه، على حسب ما فُصِّل وبُيِّن، وكتب الفقير إلى الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف ابن علي، حامدًا ومصلِّيًا، والمنَّة لله».

وقد تبيَّن أنَّ من الأسماء التي كانت في "الجماعة" مع المؤلف، وجُهِل ما فاتها من السماع، الإمام: صائن الدين، محمد بن محمد بن موسى الهُذَلي البصري (الجزء الرابع من المخطوط، وكان تاريخ سماعه و "الجماعة" للكتاب: العاشر من صفر سنة ست وستين وستمئة)، وهو مَن ذكره الذهبي في كتابه (القرَّاء الكبار)

وغيره باسم "الصائن الضرير"، وأخبر أنه : "نزيل قونية" [١]، وهو- أيضًا- مَن سخِر به الجلال الرومي، لأنه قرأ سورة الضُّحى بالإمالة، على قراءة الكسائي! وكانا حاضرَيْن مراسم إجلاس شيخٍ من المشايخ على "بساط" مشيخة مدرسة.[٢]

وقد وجدتُ اسم صاحب المؤلف، تقي الدين أحمد بن الأسعد السنجاري، الذي مرَّ بك اسمه آنفًا، على نسخة من كتاب (أسولة القرآن) كُتبت في عهد المؤلف ، كما يُفهم ذلك من قول الناسخ في أوله: «متَّعنا الله - مع المسلمين - بطول بقائه». وأما الناسخ فيبدو أنه ابن معين الدين، عبد المجيد بن علي الجِيلي، فقد كُتب في آخر النسخة اسم : قوام بن معين الدين.

ومِن هذه النسخة يُعلم مَنِ الصديقُ الذي أبْهَم المؤلف اسمَه في مقدمة كتابه (أسولة القرآن)، فقد كتب الناسخ أو المصحِّح فوق عبارة المؤلف : «بسبب مذاكرة أخٍ من إخوان الصفاء في دين الله ومحبَّة كتابه، وكان صالحًا تقيًّا، سليم الفطرة ، وقَّاد الذهن، جامعًا لجملة من مكارم الأخلاق، وصفات الكمال الإنساني...»[٣]، بَيْن السطرَيْن: «هو التَّقِيُّ السنجاري». وفي قوله: « وكان صالحًا تقيًّا»، ما يعني أنه توفي قبل المؤلف، ومِنْ نسخة برلين من الكتاب نفسه، يتبيَّن أن تاريخ وفاة صديقه السنجاري، هو: بعض شهور سنة ٦٦٧هـ، وسنة ٦٦٨هـ ، إذْ فيها تحديد إتمامه بالسنة المذكورة، وكان قد بدأ بتأليفه قبل سنة ٦٦٣هـ[٤].

وأمرٌ آخَر يُلحظ في ثَبَت سماع كتاب (جامع الأصول) يؤكد ما ذهبتُ إليه في كتاب لي في ترجمة الصدر القونوي، ألا وهو أنه قد كانت العلاقة متأزِّمة بين الجلال والصدر، وأنهما قد غمَسا في ذلك أيديهما في عِطر مَنْشَم، ألا ترى أن اسم المؤلف يتكرر في أجزاء مخطوطة كتاب (جامع الأصول) العشرة، ولست تجد اسم الجلال الرومي في موضع، وقد قُرئ على الصدر الرومي غير مرَّة؟

---

(١) معرفة القراء الكبار، للذهبي (٦٣٧/٢).

(٢) مناقب العارفين ، للأفلاكي (٣٠٩/١).

(٣) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل (!)، للمؤلف زين الدين الرازي، بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ،(ص ١٨)، ويُلحظ أن ذلك العنوان ليس مما وضعه المؤلف .

(٤) تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان (القسم الثالث ص٧٣٤). ويفهم تاريخ البدء بتأليفه من تقييد المؤلف ذلك في مبيضة نسخة كتابه (تفسير غريب القرآن العظيم).

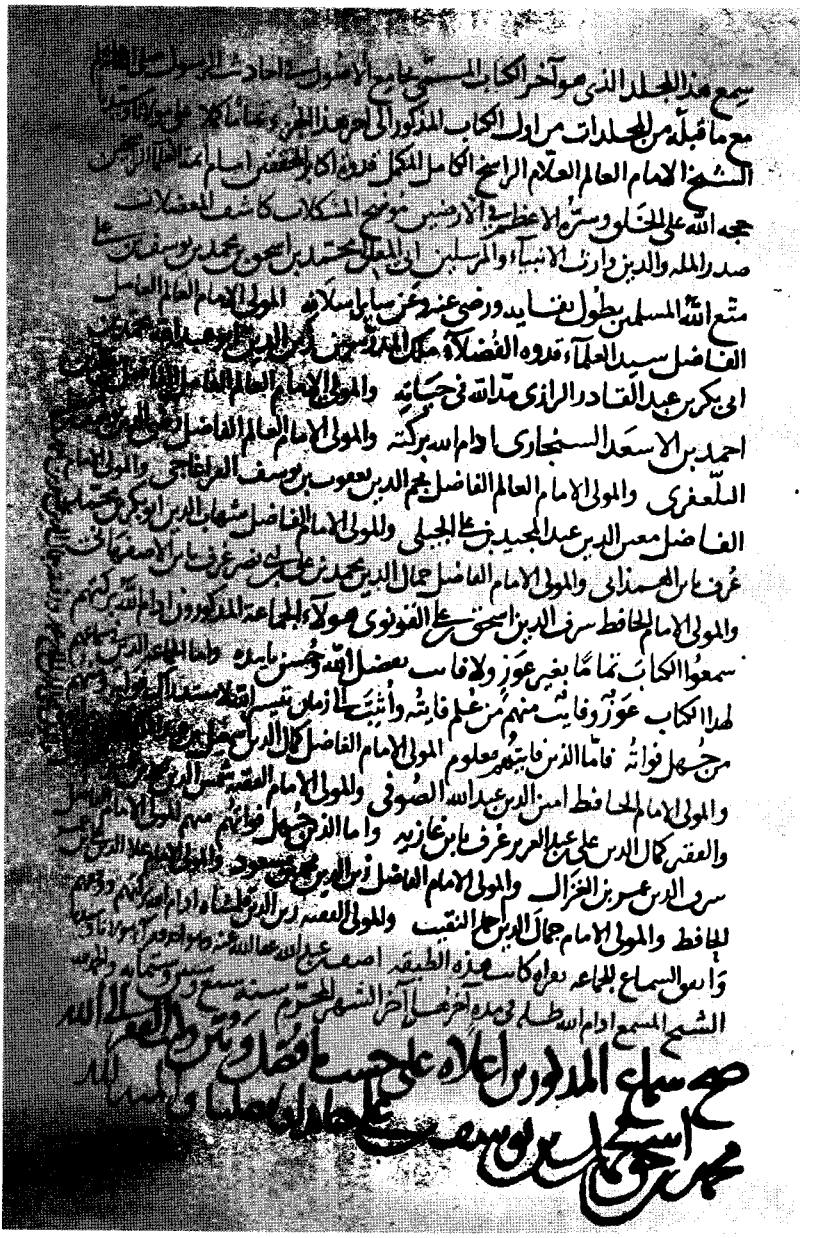

سماعه الحديث على صدر الدين القونوي :

كانت للصدر القُونوي رحلات إلى مُدِن رئيسة في عهده منها رحلة إلى القاهرة عُلم من تقريظٍ كُتب على مخطوطة كتاب (شرح تائيَّة ابن الفارض) لتلميذ القونوي: سعد الدين الفرغاني(ت٦٩٩هـ)، أنها كانت في سنة ٦٣٠هـ [١], ويُفهَم من كلام المناوي أن بعض هذه الرحلات كانت سفارة رسمية، كسفارات أبيه مجد الدين إسحاق (ت٦١٨هـ)، وذَكر أن القونوي اجتمع بمصر مع عبد الحق بن سبعين(ت٦٦٩هـ) [٢]، وعرَّفنا سماعٌ كتَبه تلميذه قطب الدين الشيرازي(ت٧١٠هـ)، أنه كان في القاهرة أيضًا «في بعض سنة ثلاث وأربعين، وبعض سنة أربع وأربعين وستمائة» [٣].

ويُفهم من "السماعات" الحديثية حِرص القُونوي على إحاطة نفسه بدِرْع واقٍ من مكانة المحدِّثين المرموقة، كما فعل شيخُه وزوجُ أمِّه ابنُ عربي الطائي(ت٦٣٨هـ)، فلذلك ما جَهِد في تحصيل إجازات من شيوخ الحديث في عصره، فكان سماعه في (ملَطية) سنة ٦٢٤هـ, على كمال الدين أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن الحسن المعروف بالإسكندراني, وهو من أصحاب أبي طاهر السِّلَفي (ت ٥٧٦ هـ)، كما سمع في المدينة النبوية جزء ابن عرفة، على جمال الدين الواسطي، وهو من مريدي الأوحد الكرماني (ت٦٣٥هـ) فيما يبدو[٤]، وسمع على برهان الدين أبي طاهر إسماعيل بن مُحَمَّد بن يوسف الأنصاري، عن أبي علي حسن الأوفى، عن السِّلَفي جزء: "أربعون حديثًا عن أربعين شيخ في أربعين مدينة".

وحضر مجالس سماع حديثية في حلب على المحدِّث المعروف، الشيخ شمس الدين يوسف بن خليل الدمشقي (ت ٦٤٨ هـ), الذي أجاز القُونَوِي بجميع سماعاته وإجازاته ومناولاته، وما يجوز له روايته من جميع العلوم [٥]. وقرأ كتاب (جامع الأصول) للإمام ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) على الأمير العالم: شرف الدين يعقوب الهذَباني (ت ٦٤٥ هـ).

---

(١) الطريقة الأوحدية، للدكتور ميكائيل بايرام، (ص ٣٥).

(٢) الكواكب الدرية، للمناوي، (٤٢/٢).

(٣) من مقال "صاحب مختار الصحاح"، لعبدالله مخلص، مجلة المجمع العربي(٨/ ٦٤٩).

(٤) الطريقة الأوحدية، د. ميكائل بايرام. (ص ١١١).

(٥) من كراسة للدكتور ميكائيل، وفيها فوائد مما قيده من مخطوطات مكتبة (يوسف آغا) في قونية .

فلما رجع الصدر القونوي إلى (قونية) صار منزله الذي شبَّهه الأفلاكي بالقَصْر - إذْ كان الصدر واسع الثَّراء [١] - مقصد طلاب الحديث ، بل أخبر الأفلاكي أن معين الدين البَرْوانة، وزير السلاجقة الأول (ت٦٧٦هـ) كان ممن حضره لسماع كتاب (جامع الأصول)[٢]. وكان منهم المؤلف ، وكان منهم قطب الدين الشيرازي ، وكان منهم سعيد الفرغاني - وقد أخذ عنه مع الحديث فلسفة الوجودية- و يُقرأ خطُّ الفرغاني على مخطوطة الكتاب نفسه ، فقد كتب في أواخر المجلدات تواريخ منها هذا التاريخ: « يوم الخميس، الثاني والعشرين من صفر الخير، سنة سبعين وستمئة ». وقد قُرئ (جامع الأصول) أربع مرات على الصدر القونوي كما يُعرف ذلك من عبارة كتبت على آخر أجزائه: « بلغ قراءة وسماعًا على مولانا وسيدنا الشيخ المسمِع أسبغ الله ظلَّه في أوائل ذي الحجة سنة سبع وستين وستمئة ، رابع مرة ، فالحمد لله».ويُظنُّ أن مدة قراءة المجلد الواحد تستغرق قرابة الشهر قياسًا على زمن المقابلة والتصحيح، وذلك في قول آصَف الكاتب: « فرغ من التصحيح والمقابلة لهذا الجزء، من أوله إلى آخره، في مدة خمسة وعشرين يومًا متوالية، مع تخلل فترة فيها وآخر ذلك يوم الأربعاء، الثاني والعشرين من شهر رمضان، سنة ثلاث وستين وستمئة، والحمد لله وحده»[٣].

أكان المؤلف واقفاً على عَقْد القونوي الفلسفي؟

كان الصدر القونوي "صَدْرًا" في الفلسفة، "عارفًا" بوحدة الوجود، معتقدًا لها، منافحًا عنها، "مدرسةً " فيها. قال في كتابه (النُّصوص) :« فافهَمْ هذا وتدَبَّرْه، فقد أدرجتُ فيه من نفائس العلوم والأسرار ما لا يقْدر قَدْره إلا الله، وهذا هو الحقُّ اليقين، والنَّص المبين!»، ثُمَّ قال بعد ذلك:« ومِن النُّصوص الكُليَّة نصوصٌ ذكرتُها في كتاب (مفتاح غيْب الجمع، وتفصيله)، وفي غيره من الكتب التي أنشأتُها، ولم أمزجها بكلام واحدٍ من الناس !! فإن ذلك ليس مِنْ دَأبي، إذْ قد عصَمَني الله مِن

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي:(١/٦٦٤).

(٢) مناقب العارفين ، الأفلاكي(١/٣٤٤).

(٣) من كراسة بخط الدكتور ميكائيل بايرام (جامع الأصول، مخطوطة مكتلة يوسف آغا ٥٠٥٠ الورقة ٢٥٠).

ذلك، وأغناني بهِبَاتِه الخالصة العليَّة عن العَواري الخارجية السُّفلية ! ».[١]

وعلى هذا فإن وَصْفَه بأوصاف المحدِّثين غاية في التضادِّ، وما ذِكْر الحافظ الذهبي، لاسم القونوي في(تذكرة الحفاظ) [٢]، إلا نوْعَ استطرادٍ أتاه حين أرَّخ لكبار الأعلام المتوفَّين في سنة (٦٧٣هـ)، فقد ذَكَر في ذلك الموضع كبير القراء، وكبير الرؤساء، وكبير المحدثين المسندين، والأمراء، والفلاسفة، والأصولية، والفقراء، والزهاد، والنحاة، وكبير ملوك الإسلام، فكان صدر الدين القونوي بين هؤلاء المتوفين في العام المذكور كبير المشايخ الاتحادية! ولم تكن قونية بين (الأمصار ذوات الآثار) [٣]، وهو في (تاريخ الإسلام) لا يصفه بإمامة في الحديث، غاية ما قال: « الشيخ الكبير الشهير, الزاهد, أبو عبد الله محمَّد بن إسحاق بن محمَّد بن يوسف الرُّومي, الصوفي على مذهب أهل الوحدة شيخ الاتحادية بقونية، صحِب الشيخ محيي الدين ابن العربي، وقرأ كتاب (جامع الأصول) على الأمير العالم شرف الدين يعقوب الهَذَباني...» [٤].

والناظر إلى مصنَّفات هذه الشخصيات الثلاثة : زين الدين الرازي، وصدر الدين القونوي، وجلال الدين الرومي، تَظهر له بجلاء اختلاف مشاربهم في تصوُّفهم، فأكبر ما يُعلي قَدْر الرازي أنه لم يُعثَر له على كلام في فلسفة الوجود الواحد ، وهذا كتابه (حدائق الحقائق) شاهد ذلك، وأمَّا الآخَران فقد أرْداهما في نظر أهل العلم والدين والمعرفة بحالَيْهما وجوديةُ القونوي، وحُلوليةُ الرومي، وبعدُ فما يُظن بالقونوي أن يخوض مع المؤلف في "بلايَا" الفلسفة، أو يُطلِعه على مؤلفاته فيها، من تلك "العقارب" التي قال عنها الحافظ الذهبي : «له تصانيف في السُّلوك - على مذهبه- نسأل الله العافية!»[٥]، مما خاضها هو وشيخه ابن عربي ، من مِثل دعوى تفضيل الوليِّ على النبيِّ ، التي اشتهر ابن عربي

---

(١) النصوص، للصدر القونوي، مخطوطة (الورقة ١٧٠).

(٢) تذكرة الحفاظ، للذهبي (١٤٩١/٤).

(٣) اسم كتاب للذهبي في ذكر المدن التي اشتهرت في وقت من الأوقات بتوافر علم الكتاب والسنة بها.

(٤) تاريخ الإسلام، للذهبي (٢٤٠/١٥).

(٥) تاريخ الإسلام، للذهبي :(٥٣٧/١٤-٥٣٨، ٢٤٠/١٥). تذكرة الحفاظ، للذهبي (١٤٩١/٤).

بالقول بها .فانظر إلى قول المؤلف، في كتابه (الحدائق)، كيف يردُّ الفكرة، ويضلِّل معتقِدها، قال : « فالولي: إن جَلَّ حاله لا يَصِلُ إلى شيء من مقامات النُّبوة، دَقَّ أو جَلَّ ، لأن الوليَّ تابعٌ والنبيَّ متبوعٌ ، ومتى تقدم الأصلَ الفرعُ، أو يدانيه وبه قوامه، وإليه مرجعه، ومن ظن خلاف ذلك، فقد ظن خلاف الحق»[١].

ولا ينبغي أن يُنسَى أن القونوي شَهِد مِن شيخه – وهو رَبِيبُه – إخفاءه لكتابه (فصوص الحكم) يوم كان في دمشق، فقد كان « مُنْقَبِضًا عن الناس، وإنما يجتمع به آحادُ الاتحادية، ولا يصرِّح بأمره لكل أحد، ولم تشتهر كتبه إلا بعد موته بمدة. ولهذا تمادى أمْرُه»[٢]. وكان ابن عربي يلْبَس لتَقيَّته لَبوسها فقد نقل مصدر عنه في مفهوم ذلك قوله:« أمَّا الكتب التي أمرني الحق تعالى في قلبي بوضعها، ولم يأمرني إلى الآن بإخراجها إلى الناس وبثِّها في الخَلْق...» [٣]، ومنتظَرٌ أن يقتدي التلميذُ بأستاذه في التَّقيَّة وإخفاء ما يُبْطَن اعتقادُه.

وإنه وإن كان اسم التصوف يشمَلهم، فثَمَّ فرق بينهم ، وهو ما ذكرته عن المؤلف من خلوِّه من التأثُّر الفلسفي المهلك فيه، ونفَسه في كتابه (حدائق الحقائق) شاهدُ ذلك ، ويدلُّك على هذا عدم نقله شيئًا مِنْ كلام ابن عربي في أي كتاب من كتبه التي وصلتنا، مع أن جملة من أهمِّ كتب شيخ الوجودية الأكبر، كانت بمتناول يده، حين يكون في منزل صدر الدين القونوي، لسماع الحديث، وكذا عدم ذكر اسم القونوي - أيضًا - في هذا الكتاب الذي بين يديك: (كنز الحكمة) وهو مَن أجازه روايةَ أصْلِه (جامع الأصول)، لا ، ولا استئناسه بفقرة من كلامه.

والمتأمِّل لشرح المؤلف للأحاديث التي انتقاها في هذا الكتاب، يجدها شرح عالم من علماء المسلمين، ومَن قرأ شرح الصدر القونوي للحديث يُلْفِه شرح فيلسوف من فلاسفة الوجودية، يؤلِّه وجودًا ساريًا في كل موجود !

وخُذ إليك مثالًا على شرحهما للحديث القدسي: (يا بنَ آدمَ مَرِضْتُ فلَمْ تَعُدْني...)، ورقمه في هذا الكتاب: السابع والأربعون، وهو في كتابٍ للصدر القونوي

---

(١) حدائق الحقائق ، للمؤلف (ص ١٦٤).

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي(١٤/٥٢٠).

(٣) عنوان الدراية، للغبريني(ص ١٦٩).

اسمه (شرح الأربعين)، قال فيه وهو يزعمه شرحًا : « أمَا علمتَ، أيْ: أما عرفت أن وجودي المطْلَق يَتعيّن بكل تعيُّن، وفي كل متعين مُطلَق ، وأما علمتَ أن العبد المريض حقيقته عينُ حقيقتي ، وأنا الظاهر فيه ، وبُدُوُّ ، أيْ: ظُهور تعيّنه بالنسبة إلى المسمى ، والاسم عين المسمى، قوله : أما علمت أنك لو عُدْتَه لوجدتني عنده. أيْ : أما عرفت أن الوجود المطلق[1] سارٍ في وجوده الإضافي وظاهرٌ به !» [2] . وقد عَلم الصدر القونوي أن مِن الصوفية طائفة لا تقول بوجودية ولا حلولية، ولذلك أوصى أن تُعطى كتبه بعد موته لحاذقٍ بها، كعفيف الدين التلمساني(ت٦٩٠هـ)، فقد نصَّ على ذلك في وصيَّته، فقال: « وتصانيفي تُحمل إلى عفيف الدين، لتكون له تذكرة منِّي، مع الوصية ألَّا يَضِنَّ ببَذْلها على مَن يرى أهليَّته للانتفاع بها! » .

وما الوجوديُّ في سَعْيه لطلب الحديث - يومئذ - إلا كالمستشرق المغْرِض - في زماننا - تُدهِشُك معرفته بأدق تفاصيل ما تَطلَّب عِلْمَه، ليست الغاية منه اعتقاد صحة ما حفظ، ولكن لهم في ذلك مآرب أخرى!

ومن عرف شنيع فلسفة الصدر القونوي وتلميذه العفيف، لا يُبعِد من الصواب قول من عدَّهما من ذوي تلك المآرب، حين قرَآ الحديث وطلباه، فهذا العفيف التلمساني[3] قال لرجل مِنْ طلَبة الحديث دخل عليه في مرضه، مع معرفةٍ للتلمساني يَعُودانِه، فأخذ التلمساني يتكلَّم على قاعدته أن الفِكر حجاب ، وأن الأمر مداره على الكشف، وغايته إقناعهما بوحدة الوجود، فقال طالب الحديث له: فما معنى قول أمّ الدرداء : أفضل عمَل أبي الدرداء التفكر؟ فتبَرَّم التلمساني بدخول مثل هذا عليه - يعني المحدِّث الحقيقي- وقال للذي جاء به : كيف يَدخُل عليَّ مثل هذا؟ ثمّ قال للمعترِض : أتدري يا بُنَيَّ ما مَثَل أبي الدرداء وأمثاله؟ مثلهم مثل أقوام سمعوا كلامًا وحفظوه لنا، حتى نكون نحن الذين نفهمه، ونعرف مراد صاحبه، ومثَل بريدٍ

---

(١) الوجود المطلق في اصطلاح الوجودية هو : الرب الخالق، سبحانه و تعالى وتقدس عما يقول الظالمون!

(٢) شرح الحديث الأربعين، لصدر الدين القونوي(ص ١٤، ١٩).

(٣) تاريخ حوادث الزمان، لابن الجزَري (٩٦/١).

حمَل كتابًا من السلطان إلى نائبه !» [١]. قلت: يؤكد هذا الجواب المتهافت ما نقله بعض العلماء عن عفيف الدين التلمساني، من اعتقاده أنه سيأتي بعد محمد ﷺ مِن البَشر مَن هو أكمل منه!!

موقف المؤلف من الجلال الرومي :

أورد الأفلاكي خبرًا عن قاضٍ من قضاة ذلك العهد سمَّاه كمال الدين الكابي[٢] كان مِن أمْرِه أنه مرَّ بـ(قونية) سنة ٦٥٦هـ ، ليَرى السلطان السلجوقي، وكانت معه (فَرَمانات) من المغول، كما جاء في الرواية - ولا يُدرى إن كان من خُلَّص خُفراء المُغْل أم ممن تعاملوا معهم اتِّقاء شرورهم – فلما أراد العودة لبلدته لقِيَه بعضُ أصحابه ، قال الأفلاكي حاكياً عنه :« فشوَّقني طائفة من الأصدقاء، من أعيان البلدة، كشمس الدين المارديني ، وأفصح الدين(!)، **وزين الدين الرازي** ، وشمس الدين الملَطي، رحمهم الله تعالى، أن أزور مولانا ...» يعني جلال الدين الرومي. فيقال هنا توضيحًا: إن كان المؤلف من بين المشوِّقين لزيارة الجلال الرومي، وكان تاريخ هذه الحادثة هو المذكور في أول الرواية، أعني سنة ٦٥٦هـ ، فلأن يُعَدَّ ذلك نصيحة من الرازي إلى الكابي وشفَقَة عليه، أوْلَى من جعْلِه شاهدًا على صداقة المؤلف للرومي - كما زعم الدكتور حسين ألمالي - لأن صاحب كتاب المثنوي كان رجُل المغول الأوَّل في (قونية)، وبخاصَّة عَقِب استيلاء الأمير(بايجو) عليها سنة ٦٥٤هـ، وتقْريبه العَلَني للجلال، ومقابلة الجلال ذلك بتصريحه - غير مَرَّة - بأن (بايجو) وَلِيٌّ! [٣] ، فكأن المؤلف أراد أن يُذَكِّره إلى ما قد يكون في نِسيانه – لوْ أنه نَسِيَ - وبالًا عليه، وكون شخصيَّةِ الجلال الرومي شخصية يُتَّقَى شرُّها باسترضائها، معلومة تُفاد من أخبار الأفلاكي الذي كان يسوقها مَساقًا "كَراماتيًّا" "مَناقِبيًّا" ! ويُلحظ في عبارات الأفلاكي محاولة إقناع القارئ بتأييد المؤلف إباحة السَّماع

---

(١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية : (١٠٣/٤) هذا القول من التلمساني يصح في الرواة الحمقى أمثاله، حين يَروون عن أمثال شيخه، وأمثال ابن السراج الدمشقي، حين ينقل عن قلندريته، وأمثال شمس الدين الأفلاكي حين يخبر عن مولوييه.

(٢) الكابي نسبة إلى "كاب" من قُرى سيواس (من بلاد الأناضول). انظر: تبصير المشتبه، لابن حجر، (٢٧٧/١).

(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (٤٥٤/١) .

المحرَّم الذي عُرف به الجلال الرومي ، وأنه كان على تعظيمه وتبجيله، والمعروف أن علماء الشريعة في (قونية) كانوا كارهين للبِدَع التي كان عليها "مولاهم" الرومي ومريدوه، عند الجنائز والقبور، من الغناء والتعبُّد بالاستماع للموسيقا[١]، وقد تعدَّى الخلاف بين الفريقين إلى الاشتباك بالأيدي والعراك، وقد أخبر بذلك وغيره الأفلاكي نفسُه [٢].

ويُعلم من كتب المؤلف الفقهية أنه من أولئك الفقهاء "الكارهين" لبدع الجلال الرومي، قال - رحمه الله تعالى - في (تحفة الملوك) : «وسماع صوت الملاهي (يعني آلات العزف الموسيقية)كلُّها حرام» ، وقال في آخر الكتاب المذكور: «ويجب منع الصوفية الذين يدَّعون الوَجْد والمحبَّة، عن رفع الصوت ، وتمزيق الثياب، عند سماع الغناء ، لأن ذلك حرام عند سماع القرآن، فكيف عند سماع الغناء الذي هو حرام خصوصًا في هذا الزمان ؟!»[٣] ، وينصرف ذهن الخبير - بما وصَل إلينا مِن أحوالهما - إلى أن الرازي يُومئ بكلامه إلى الجلال الرومي ومؤيديه من الطرق الصوفية الذين كان يراهم صُبْح مساء في قونية وغيرها، وهم يتعبَّدون بالاستماع إلى الموسيقا ، الناي والعود وما عُرف من آلاتها الأخرى في وقتهم.

وقال الرازي – أيضًا- في كتابه (حدائق الحقائق): «وأمَّا سماع الأشعار بغير لحن فجائزٌ إجماعًا ، وذلك كقول الحداء وسماعه. وتفصيلُ ذلك ، وذِكرُ الأدلة فيه مِن الطرفَيْن موضوعُ الكتبِ المطوَّلة مِن الفقه والرقائق ، وكتُبُ الفقه أحقُّ بذلك، لأن عِلم الحقيقة والطريق لم يُبْنَ على المجادلة، والقيل والقال، بل على ترك ذلك كلِّه» [٤]. كما أنه في هذا الكتاب - الذي بين يدَيْك- مثَّلَ للمُنْكَر الذي يُغيَّر باليَدِ،

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/٣٣١)، وكان من الفقهاء المعارضين الشيخ صفي الدين الهندي (ت ٦٤٤هـ- ٧١٥هـ) وشيخه سراج الدين الأرموي(ت٦٨٢هـ). انظر : أخبار جلال الدين الرومي، لمخرِج هذا الكتاب .

(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/٥٨٨، ٦٨٥).

(٣) تحفة الملوك، للمؤلف (ص٢٣٨، ٢٨٤).

(٤) حدائق الحقائق ص ١٤٨، ١٤٩، وهذه الكلمة الأخيرة مهمة في الكشف عن مزاجه ، وميله للموادعة.

فقال: « ...وإراقة الخمر، وكسْر المعازف!»[١].

وقد كانت هذه البدعة من الانتشار بمكان جعلتْ صدرَ الدين القونوي يكتب ذلك في وصيته ليؤكد لمريديه مخالفته لمشرب جلال الدين الرومي، الذي كان لا يراعي أحكام الظاهر (أوامر الشريعة)، فتراه قيَّد ذلك في وصيَّته – أيضًا - فقال:«**ولا تصحبوا جنازتي أحدًا من قرَّاء الجنائز**»[٢]. وقد علمتَ أن القونوي كشيخه وقدوته ابن عربي الذي قيل عنه إنه كان ظاهريَّ المذهب في العبادات، باطنيَّ النظر في الاعتقادات[٣]، وعلى هذا درج من جاء بعدهما، مِن مُعتنِقي فكرة "وحدة الوجود"، حَذْوَ القُذة للقذَّة.

علاقة الصدرِ القونوي، شيخِ المؤلف، بالجلال الرومي

كانت علاقة يغْلِب على وصْفها التعَكُّر بل التأزُّم، ويبدو أن تاريخ نشوء التنافر بينهما يرجع إلى أيَّام شبابهما، حين اجتمَعا في دمشق، في مجلس ابن عربي [٤]، وللأفلاكي نقْلٌ في ذلك عن (سلطان وَلَد) ابن الجلال الرومي يؤكد ذلك، قال: «كان الشيخ صدر الدين شديد الإنكار على مولانا، في بادئ الأمر! » [٥] ، ولعل لقوله "في بادئ الأمر" معنًى دفيناً لم يستحسن (سلطان وَلَد) أو الأفلاكي أن يذكره بصريح العبارة، ويفهم اليوم بأنه قبل أن يكون الجلال من رجال المغول المخلصين، وذلك بعد تغيُّرٍ كبير في الأحوال أعقب هزيمة السلاجقة الكلي في سنة ٦٥٤هـ ، وذهاب رجال كانت مكانة الصدر بهم عند السلاجقة مكينة ، قد كان يمكنه أن ينال بها ما ناله والده مجدالدين إسحاق، الذي كان «وزيرًا أو نظيرًا لوزيرٍ بقونية» [٦]، فمن شواهد التشاحن بينهما أن الجلال كان يستخفُّ بكتاب (الفتوحات

---

(١) كنز الحكمة. الحديث الثاني عشر، في النهي عن المنكر.

(٢) وصية صدر الدين القونوي. مخطوط، وقد حققتها ضمن كتاب أترجم فيه للصدر القونوي، وانظر: أخبار جلال الدين الرومي، (ص ٢٦٢-٢٦٣).

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/٢٧٤).

(٤) رسالة السبهسالار، فريدون بن أحمد (ص ٣٥).

(٥) مناقب العافين، للأفلاكي (١/٥٠٨).

(٦) تفاح الأرواح ، لابن السراج الدمشقي، مخطوط(المنقول ٢٠٥).

المكية)[١] ، وكان شمسه التبريزيُّ مُبْدٍ لبِغْضَته لابن عربي، مكذِّبٍ لما يقول، بل يُفهم أنه كان لا يراه شيئًا ![٢]، وسيأتيك أن الجلال كان على الرأي نفسه في القونوي ربيب صاحب (الفتوحات)!

و"يصْدِمك" في الكتاب المسمَّى (فيه ما فيه) كلام للجلال على الصدر القونوي هو في التَّزْيِيف له والتضليل شديد جدًّا [٣]. وقد يكون هذا مفهوماً لو كان صادراً ممن يراعي ظاهر الشريعة من الصوفية، ولكن أن يصدر من رجلين – أعني الجلال وشيخه الشمس-كانا يُقِرَّان السجودَ لغير الله تعالى - كما تنطق روايات الأفلاكي بذلك – فهو في العجب كما ترى، و تقرأ سجود الجلال لمحبِّيه من نصارى الأرْمَن ورُهبانهم [٤]، وتقرأ "توجيهاته" لفتًى أرمنيّ يُسمَّى (ثِرْيَانُوس)، وكيف أصبح هذا الفتى بعد إذْ وَدَّعَ نصرانيَّته، ونهَل من مَشْرَب الجلال الرُّومي مبتدعًا حلوليًّا مجاهرًا بذلك أمام الناس، مصرِّحاً بالقول: «إنَّ الجلال الروميَّ إلهه!»، وكيف أن شَكاة أهل قونية في ذلك، إلى قاضي القضاة سراج الدين الأرموي(ت ٦٨٢هـ) - وهو من كبار علماء الشريعة الذين نابذوا الرومي وأتباعه - لم تردعه عن ذلك، للمنزلة التي كانت للجلال عند المغْل ونُوَّابهم[٥].

ويظْهَر تعالي الجلالِ الروميِّ المفرط، على شيخ المؤلف، وتهوين مرْتَبَتِه، وما تحمَّل روايتَه مِن كتب الحديث والشريعة، من جوابه سؤال مقَرَّب إليه، رأى من الجلال بعض الرعاية والاحتفال بالصدر، فسأله سؤال المتعجب من ذلك: «هل الشيخ المحدِّث صدر الدين من طُلَّاب الحقائق؟ أو هو مِن بعض هؤلاء المقلِّدين؟ (يعني علماء الشريعة) فقال الجلال: «وحَقِّ صَدْرِي! (يُشِيرُ إلى صدر نفْسِه) مرآةِ سِرِّ الله! الطاهرِ عن الحسَد والغِلِّ! إنَّ الشيخَ لمقلِّد، والله إنَّه لمقلِّد ! »[٦]

وعند الأفلاكي روايات لا تحتاج إلى تعليق ، منها أن الصدر قال يومًا للوزير

---

(١) مناقب العافين، للأفلاكي (١/٧٠٠).

(٢) مناقب العافين، للأفلاكي (٢/٢٥٨-٢٥٩).

(٣) كتاب (فيه ما فيه) من كلام جلال الدين الرومي:(١٠٦ ١٠٩)، من الترجمة التركية.

(٤) مناقب العافين، للأفلاكي (١/٣٣٠، ٣٣١، ٧١٦).

(٥) مناقب العافين، للأفلاكي(١/٤٧١، ٤٧٣).

(٦) مناقب العافين، للأفلاكي(١/٧٠٢).

معين الدين البروانة :« رأيت مولانا هذه الليلة, وهو قريب من الله قربًا تضيق الشعرة عن أن تسع ما بينه وبين الله !! »، فلما أبلغوا "حُلمه" هذا للجلال قال: « إذن كيف اتسع المكان له ثمة, والحال على ما ادعى؟ لأن الله الذي لا شريك له في عالم الوحدة, لا يسعه شريك ولا شبيه !». [١] وفي رواية أخرى أنه قال للوزير - أيضاً - أنه عرج به ليلة إلى الملكوت !! فلما ارتفعت حُجُب كثيرة أمامَه رأى الجلال الرُّومي واقفًا فوق العرش!! ثُمَّ أضاف قائلًا للوزير: «هذا قُرْبٌ لم ينَلْه وَليٌّ قَبْله !!»، فلما كان مِن غَدٍ ذهب الوزير إلى الجلال ليُخبره بالذي سمعه من القُونوي، فعاجَله الجلالُ قبل أن ينْبِس الوزيرُ ببِنْتِ شَفَةٍ قائلًا: «أيها الأمير، هو ذا المعنى صحيح، وإنه لكما رأى الشيخ، بيْد أنّي لم أرَ الشيخَ هناك!»[٢]

قلت: وهذا في التكذيب والسخرية والامتهان للصدر القونوي، والاجتراء على الوزير الذي حضر بعض مجالس إقراء كتاب (جامع الأصول)عليه – كما ترى - في الغاية .

وربما زار الجلالُ الصَّدْرَ في منزله, على أنها كانت في النادر، و هي على نُدرتها كانت تنتهي بمصائب، كما جرى لصديقٍ للصدر، يقال له: (الحاج كاشي) قتِل بعد ثلاثٍ من إغضابه الجلال وهو في منزل الصدر! [٣]. ونقرأ تصرُّفًا غريبًا وقع في زَوْرة أخرى للجلال فإنه ما كاد يقتَرِب من زاوية القُونَوي إلا ورأى انْبِعاثَ خادمٍ من داخل الزاوية يهرع نحوه, وهو يقول: الشيخ ليس هُنا ! فاحتدَّ الجلال وقال في غضب: إخْرَس, لا تتكلم قبل أن يُوجَّه إليك السؤال, أما تعلمتَ هذا من شيخك أيضًا ؟!» [٤] .

وقال الأفلاكي : « ونُقل - أيضًا - أنَّ معين الدين البروانة (الوزير الأوَّل) زار الشيخ صدر الدين يومًا, وجرى الكلام على مسألة "الرواتب" التي كان الأصحاب يومئذ يُعطَوْنها، كل يوم نصف دينار, فقال الشيخ صدر الدين (للوزير): إنَّ "مولانا" لَغَنِيٌّ عن عائدات الدارين معًا (الدنيا والآخرة) !! فلْيُعْطِ إذَنْ عائداته للفقراء ولمن

---

(١) مناقب العافين، للأفلاكي (١٨٢/٢).

(٢) مناقب العافين، للأفلاكي (٦٣٩/١).

(٣) مناقب العافين، للأفلاكي (٤٧٥/١).

(٤) مناقب العافين، للأفلاكي(٤٠٧/١).

يستحقُّها, فذلك يلْزَمُه !! ثمَّ زار البروانة "مولانا"، في اليوم نفسه, ، فقال "مولانا" : يا معين الدين, إنَّ خَرْجَ الشيخ (يعني القُونويَّ) ومصروفاته كثيرة, إنه يَحيى حياةً تَليق بالملوك !! ولا يحتاج أصحابنا إلى شيء، فالمناسبُ جعْلُ ذلك الدينار - أيضًا - في مطبخ صدر الدين! ». [1]

والذي خلُصت إليه أن مؤلفنا – رحمه الله تعالى - لم يكن في تصوُّفه وجوديًّا كشيخه الصدر القونوي ، ولا اتحاديًّا كالجلال الرومي، فإنه لو عُرف بشيء مِن ذلك ولم يَصِلْنا لرأينا إشارات تدل على ذلك عند أتباع هذين المشرَبَيْن في الأناضول في تصانيفهم .

وفاته :

ما يزال الغموض يكتَنِف تاريخ وفاة المؤلف، وسببها، ومكانها، و لا يَبْقى للباحث في وِجاه ذلك سوى تلَمُّسِ كُنْهٍ ممكنٍ وُقوعُه إن ساعدته المصادر التي سكت أكثرها عن ترجمته في ذلك.

قد مَرَّ بك أنَّ المؤلف كان في آخِر المحرَّم سنة ٦٦٧هـ ، في قونية ، في منزل الصدر القونوي، وعَلِمْنا أنه أتمَّ كتابًا له في سنة ٦٦٨هـ. وأقربُ ما يمكن إيراده في الجواب عن وَجه الخطأ في تاريخ الوفاة التي ذكرها المقريزي فيما تقدم النقل عنه ، أن يقال : هو تصحيفٌ للسَّنَة ، قد وقع للمقريزي نفسه، أو لمصدره الذي نقَل عنه، أو كانت في النُّسخة التي اعتُمدت في المطبوع من (الخطط)، أوْ بالخروج من ذلك كله بالقول: هو رجُل آخَر غير مؤلفنا، أعني مَن تقدَّمَ الكلام عليه في أول الترجمة عند الكلام على صاحب (طبقات الحنفية) القرشي .

ومع ذلك فإن قولي - لو قلت- إن وفاة المؤلف كانت بدمشق سنة ٦٦٩هـ، أمرٌ ينبغي التريُّث في قَبوله أو ردِّه حتى ظهور جلِيَّة أمره، فكبير الاحتمال عندي ترجيح هذا المكان وتاريخه. وإنما ساقني لذلك شواهد اجتمعَتْ فلاحَ لي ذلك ، أمَّا أوَّلا : فلو كان موت المؤلف في قونية لأشار إلى ذلك الأفلاكيُّ – وهو مِن أهلها- بعبارةٍ ما، مما يَدُل على أنه لم يبلُغْه موته فيها، والقوم بُناة أضرحة ويكتبون أسماء كبار الموتى على قبورهم، وأمَّا ثانيًا، فأني رأيت المؤلف أوْردَ في كتابه

(١) مناقب العافين، للأفلاكي (١/٦٦٣).

هذا حديثًا في مدح الشام، والحثِّ على الهجرة إليها والمقام بها، وقال: «خصوصًا في آخر الزمان، وهو زماننا هذا !»، وما يظن بالشيخ ليضع نفسه مكان من يخالف فعله قوله. وثالثة أني قرأت في وصيَّة الصدر القونوي، الثابتة عنه، قوله : « ... ومَن كان مُتجَرِّدًا فليقصد المهاجرةَ إلى الشام، فإنه ستحدُث في هذه البلادِ فتَنٌ مُظْلِمة، يَعسُر سلامة الأكثرين منها ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[غافر: آية ٤٤]. وأُوصِي الفَخْرَ على التعيين بالمهاجرة إلى الشام، فإنه الآن مجرَّد، وإيَّاه أن تحمله الشَّفَقة الطبيعية على ابنتِه، فيختار الإقامة هنا، لأنه سيَنْدَم حين لا ينفع الندم!»[1].

ويظهر للخبير بالتاريخ أنَّ الوصية كُتبت عقِب المذابح المغولية بديار الأناضول، وكان أشنعها ما جرى سنة ٦٦٠هـ، حين خلع التُّركمانُ طاعة المغول في مواضع عِدَّة منها، فأرسل هولاكو، كبير أمرائه إليها، «يأمرُه بقتل مَن ارْتابَ منه مِن التُّركمان»، كما قال المؤرخ اليُونِيني، وهو قريب العهد بما جرى (ولد سنة ٦٤٠هـ- وتوفي ٧٢٦هـ)، وأضاف معلومة، بعد ذِكره حدوث مقتلة عظيمة نزلَتْ بالتركمان: «وكان هذا سبب انحياز بقيَّتِهم إلى الشام»[2]. وكان مِن قتلى ثورات التركمان، والأَخِيَّة (أهل الفُتوَّة)، ولَدُ الصدر القونوي، ويقال له: سعد الدين، وولد الجلال الرُّومي، ويقال له: علاء الدين جلبي (ت٦٦٠هـ). فأمَّا القونوي فكان من آثار ذلك عليه نصيحته لمن حوله أن ينتقلوا عن الأناضول لأنها مُجْرى خَيْل المغْل، وأما الجلال الرُّومي، فكان في دَعَة وبُلَهْنِية من عطايا المغول[3]،

---

(١) وصية صدر الدين القونوي ، نسخة مكتبة (شهيد على باشا ، برقم ٢٨١٠).

(٢) ذيل تاريخ الزمان، لليونيني (١٦٢/٢).

(٣) قال (سلطان ولد) ضمن قصيدة فارسية يمدح فيها (قونية) وهي ترزح تحت وطأة ظُلم المغْل، وضمَّنها بيتًا في ذم مصر، فقال بعد مطلعها:

أي قونيه كه بر سباهي در خطه روم تختكاهي

أي مصر به بيش اين جنين شهر بس خرد وحقير همجوكاهي وترجمته بالعربية: يا قونية، يا بلدة ملؤها العسكر، أنت قاعدة بلاد الروم، ويا مصر، إنك لتتضاءلين بجنب مدينة قونية حتَّى لكأنك قشرة شعير !! انظر: ديوان (سلطان ولد) بالتركية ص ١٢٤، وقد أهدى (سلطان ولد) =

حافظاً لإحسانهم حتى إنه لم يُصَلِّ على ولده حين أقبَلوا بجثمانه إليه بقونية، لأنه مات مع مَن نهضوا لقتال المغْل، وكان الرومي يرى الخروج عليهم خروجاً على إرادة الله تعالى، فعَدَّه لذلك من البُغاة ، والحنفية لا يُصَلُّون على الباغي[١].

ويقال هنا في معرض الردِّ على مَن رام الذَّوْد عن صاحب (المثنوي) بقولهم: إنه لم يُصَلِّ عليه، لمواقف العلاء المؤيّدة لقَتْل مَن هامَ والدُه بحُبِّه، وهو الشمس التبريزي، لأنه يُعلم من كتاب (رسائل الجلال الرومي) أنه كان قد أرسل إلى العلاء، وهو في مدينة (قِيرشَهِر) رسالة يُعْلِمه بعَفْوه عنه مشاركته في اغتيال عشيقه التبريزي[٢] .

فإذا عُلم هذا، فثمَّة احتمالان : إمَّا أن تكون وفاة مؤلفنا بسبب تأخره في الهجرة إلى الشام، فأُخِذ مِن قِبَل المُغْل متَّهَماً ، بمكاتبة المماليك، أو بتأييد الثائرين من التُّركمان بفتوًى تُجيز أو تحثُّ على مواصلة جهادهم[٣]، أو أنه قُتل وهو مسافر إلى الشام، على يد قُطَّاع طريق المسافرين من القَلَنْدَرية ، والحيدرية، أو لصوصِ التركمان، والأعراب.

وإمَّا أنه توجه إلى الشام ، مع قافلة للحج ، فكان بين آلافِ غَرْقَى السَّيْلِ العظيمِ، الذي فَجَأ أهلَ دمشق وما حولها، في يوم الأحد ثاني عشر شوَّال سنة ٦٦٩هـ ، وقت الظهيرة، والشمس بادية، وتَبَيَّنَ أنَّ هذا الأتِيَّ كان مِن جرَّاء هطول أمطارٍ كثيفة على جبال بعلبكَّ، وكانت الثلوج في واديها بكثرة، فذاب ذلك كله، وأقبَل الماءُ حاملاً الصخور والطين، مُقتَلِعًا أشجار الجَوْز الضَّخْمة من جذورها، فهدَّم البيوت والعمائر، وأخذ الطَّواحِين بحِجارتها، وخرَّب خانًا (فندقًا)، وارتفع

=

شعره بالفارسية المسمى (ولد نامه) إلى (كيغاتو) بن هولاكو (ت٦٩٤هـ) دائرة المعارف الإسلامية (٩٦/١٢).

(١) تحفة الملوك ، للمؤلف: (١١٤)

(٢) رسائل جلال الدين الرُّومي ، ترجمة عيسى العاكوب. (١٥٧،١٢٣، ٤٤٢).

(٣) واختياره بعض أحاديث الجهاد في هذا الكتاب له دلالة مهمَّة في ذلك. انظر الأحاديث برقم (١٩-٢٤).

الماء حتَّى بلغ أحد عشر ذراعًا، وكان حُجَّاج الأناضول قَدْ قَدِموا حُجَّاجًا ونزلوا بالميدان، بين النهرَيْن، فغَرِقوا عن آخِرِهم، هُمْ وجِمالهم ودَوابَّهم وأزْوَادهم[1]، فلم يتمَكَّن تلاميذه وعارفوه في (قونية) أن يؤرِّخوا وفاته إذْ ظنُّوه حيًّا. واللافتُ للانتباه أن أكثر "الجماعة" الذين ورد ذِكرهم في قيود السماع، لم يُسمَع بشأنهم خبر، وقد نالهم من الغموض ما نالَه، فكأنهم اختفوا معه؟! والله أعلم .

(١) انظر خبر السَّيل العظيم في : زبدة الفكرة ، لبيبرس الدوادار ، (ص ١٢٩٩، وذيل مرآة الزمان، لليونيني(٢/٤٥١)، نهاية الأرب ، للنويري (٣٠/١١٤)، والمقتفي، للبرزالي (١/٢٣٣)، و تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/٢٨).

تحقيق الكتاب

نسبة الكتاب إليه :

يُعلم ذلك، بعد وُرود اسمه على طرَّة النُّسَخ الثلاث، مِن تشابه مقدِّمته مع مقدمات كُتُبه الأخرى، وهي مقدمات تُشعِر في الوقت نفْسِه أنها كُتبت لطلاب مدرسته، التي يبدو أنه كان مدرِّسًا فيها في (قونية).

قال في مقدمة هذا الكتاب: «هذا مختصر جمعت فيه مئة حديث من الأحاديث الصحاح ....، وإنما اقتصرت فيه على المئة ليسهل على الطالبين نقله وحفظه ».

وهو القائل في مقدمة (**مختار الصِّحاح**): « هذا مختصر في علم اللغة جمعته من كتاب الصحاح..»، وقال في مقدمة (**تحفة الملوك**): «هذا مختصر في علم الفقه، جمعته لبعض إخواني في الدين بقدر ما وسعه وقته، واقتصرت فيه على عشرة كتب ...».

وقال في مقدمة (**تفسير غريب القرآن العظيم**): « سألني بعض إخواني من طلبة العلم ، وحملة القرآن العظيم، أن أجمع لهم **تفسير غريب القرآن**.... ».

وقال في مقدمة(**أسْولة القرآن**) : « هذا مختصر جمعتُ فيه أنموذجًا يسيرًا ، من أسولة القرآن المجيد وأجوبتها ....، بسبب مذاكرة أخٍ لي من إخوان الصفاء في دين الله ومحبة كتابه ....، ولكني قصدت اختصار هذا الأنموذج منها ، وتقريبه إلى الأفهام ، ليكثر الانتفاع به...».

وفي كتاب (**شرح مقامات الحريري**): « وبعدُ: فإني لمَّا رأيت علم الأدب ...، وكان كتاب المقامات ...، أحببتُ أن أشرحه شرحاً متوسطاً بين الإيجاز المخِلِّ والتطويل الممِلِّ...، كل ذلك تيسيرًا للعِلم على الطالبين، وتسهيلًا على الراغبين».

وقال في أوَّل (كتاب **الأمثال والحكم**): « هذا مختصر جمعت فيه ما تفرَّق من الأبيات المفـردة وأنصاف الأبيـات....، ليسْهُـل على تاليه وسامعه وحافظه وجامعه ».

تاريخ تأليفه الكتاب :

لم يرِد في النسخة تحديد سنة التأليف ، لكن يرجَّح أنه كتبه بعد شهر المحرم سنة ٦٦٧هـ ، من قَيْدَين معًا الأول قول المؤلف في مقدمة الكتاب : ...بعد أن صحت لي رواية الأصول الستة من (جامع الأصول) بالإسناد الصحيح المتصل إلى رسول الله ﷺ »، ومِن قيْد في المجلد العاشر من نسخة (جامع الأصول) المقروءة على الصدر القونوي حيث كتب الناسخ مريد القونوي :«...واتفق السماع بقراءة كاتب الطبقة –أحد فقراء مولانا وسيدنا الشيخ المسْمِع، أدام الله ظلَّه – في مدة آخرها آخر الشهر المحرم سنة سبع وستين وستمئة ...»[1] ، و على هذا يحتمل أن يكون هذا الكتاب آخر ما ألَّفه الرازي.

مخطوطة الكتاب :

اعتمدت على نسخة مكتبة (بايزيد) في إصطنبول، برقم (١٠٥٩) ، وأوراقها (٧٩) ورقة، وخطها نسخي مقروء، وبآخرها تاريخ (ذو الحجة ١٠٤٣) بخطِّ مغاير.

ووقفت على نسخة أخرى في المكتبة المركزية للمخطوطات في (قونية)، لم تُصنّف باسمِ (كنز الحكمة)، برقم(١٢٦٨) ، لكنها نسخة رديئة من جهتين : بنقص أوراقها الأخيرة، وبصنيع ناسخها الذي حذَف شرح المؤلف للأحاديث. و مع ذلك لم تخلُ من نفع إذْ يُعرف بها الحديث السابع والثلاثون، الذي سقط من نسخة (بايزيد).

ولم أتمكن من الحصول على نسخة "الظاهرية" بدمشق ، التي أخبر عنها خير الدين الزِّركلي في كتابه: الأعلام (٥٥/٦)، وقال : إنها ناقصة (أيضًا) .

---

(١) المجلد العاشر من نسخة (جامع الأصول) في مكتبة (يوسف آغا) في (قونية).

منهج التحقيق:

حرَّرت النَّص وضبطت ما يشكل قراءته ، ولما كان اعتمادي على نسخة واحدة، فقد كان الرجوع إلى المصادر التي رجع إليها المؤلف لزامًا، فخرَّجت أحاديث الكتاب ، وبيَّنت درجتَه من الصحة، وأشرت إلى مواضعها من (جامع الأصول). وقدمت بترجمة للمؤلف فيها تحقيق جديد لم أُسبَق إليه ما علمت.

نماذج من صور المخطوط

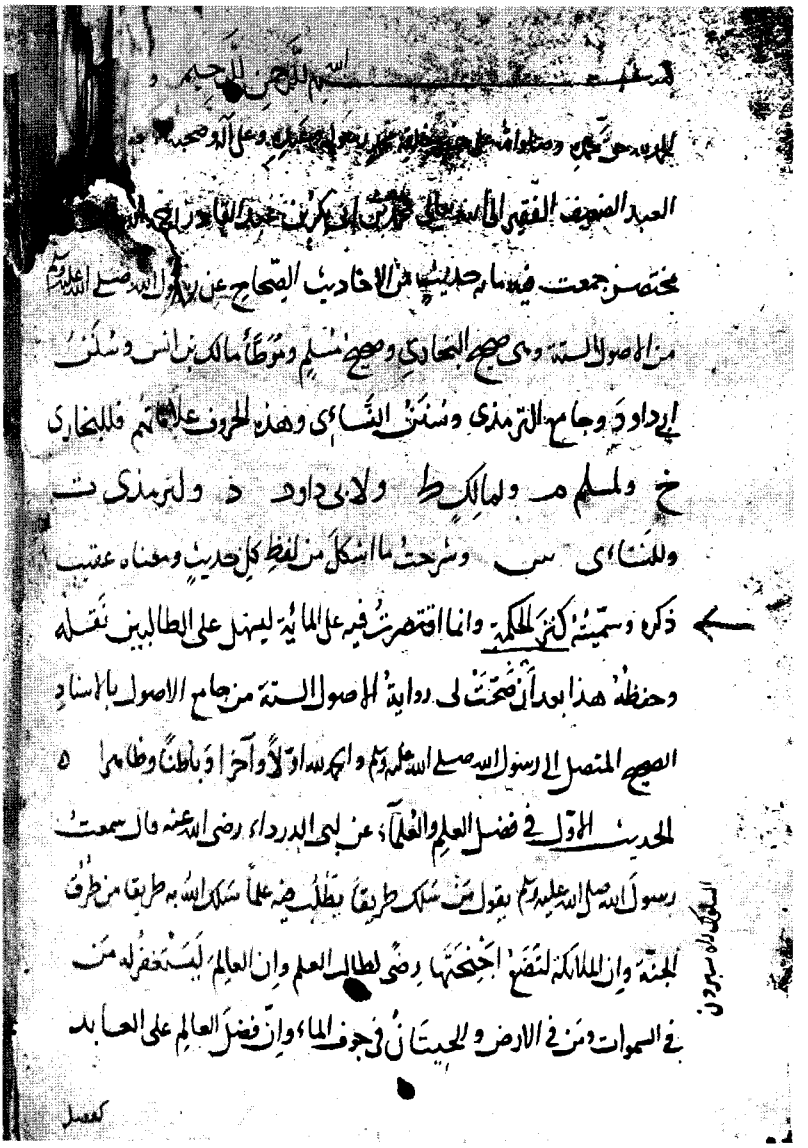

صور الصفحة الأولى من مخطوطة إصطنبول

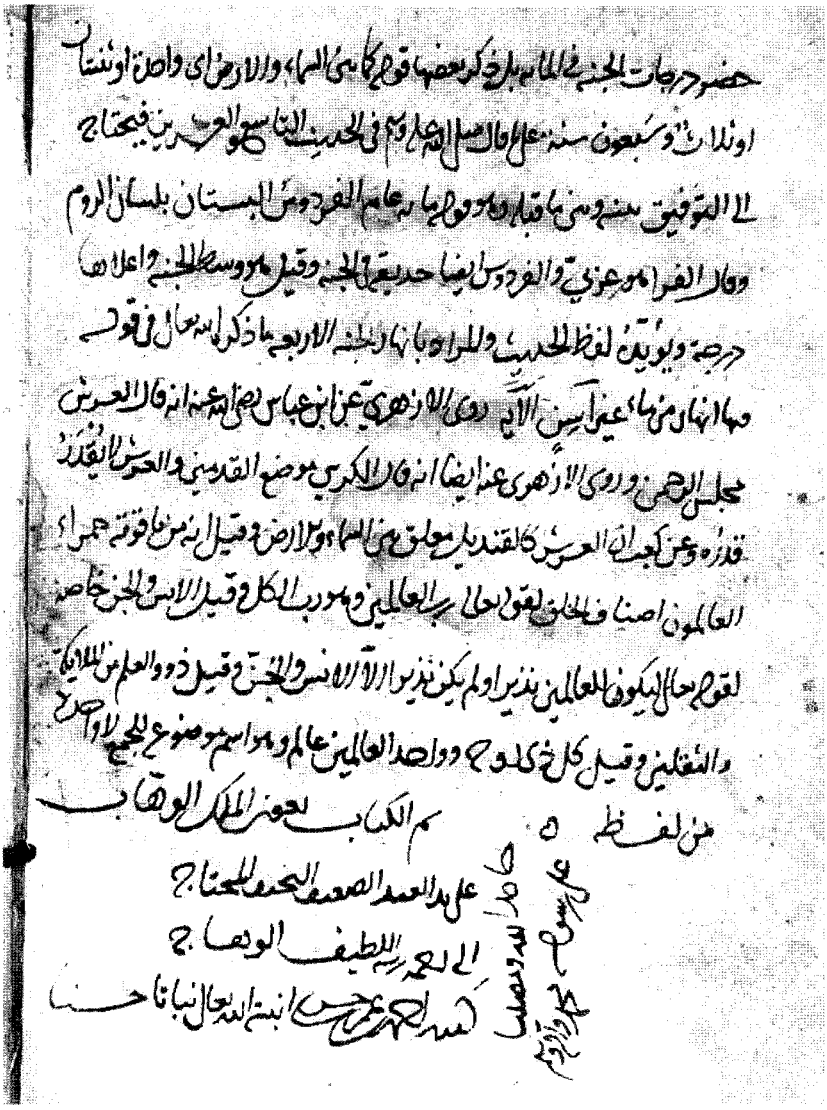

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة إصطنبول

نسخة (قونية)

كنز الحكمة
النص المحقق

الحمد لله حقَّ حَمْدِه، وصلواتُه على خير خَلْقِه؛ محمَّدٍ رسوله وعبده، وعلى آله وصحبه، أما بعد: يقول العبد الضَّعيف الفقير إلى الله تعالى؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ـ رحمه الله تعالى ـ : [هذا] مختصرٌ جمعتُ فيه مئة حديث من الأحاديث الصِّحاح عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - من الأصول الستة، وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وموطأ مالك بن أنس، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النَّسائي، وهذه الحروف علاماتهم، فللبخاري: (خ)، ولمسلم: (م)، ولمالك: (ط)، ولأبي داود :(د)، وللترمذي: (ت)، وللنسائي: (س).

وشرحتُ ما أشكل من لفظ كل حديثٍ ومعناه، عَقيب ذِكْره، وسمَّيته: (كَنْز الحكمة)، وإنَّما اقتصرتُ فيه على المئة ليسهُلَ على الطالبين نقله وحفظه، هذا بعد أن صَحَّت لي روايةُ الأصول الستة، من «جامع الأصول» بالإسناد الصحيح المتصل، إلى رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - والحمد لله أوَّلًا وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا.

النص المحقق

١- الحديث الأوَّل في فضل العلم والعلماء

عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: «مَن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لَتَضَع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالِمَ ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر، على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا ولكن وَرَّثُوا العلم، فمن أخذه أَخَذَ بحظٍّ وافرٍ».[١] أخرجه (د)(ت)، وفي رواية أخرى للترمذي،[٢] عن أبي أُمامة أنه - صلَّى الله عليه وسلم - قال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتَّى النملةَ في جحرها، والحيتانَ في البحر، يُصَلُّونَ على معلّم النَّاس الخير، وفي رواية أخرى له عن ابن عباس، أنه - صلَّى الله عليه وسلم - قال: «فقيهٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».[٣]

الشرح:

المراد بالعلم المذكور في لفظ الحديث العلم الدِّيني، وهو العلم المستفاد من كتاب الله تعالى، أو من سنة رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - معنى وَضْعِ الملائكةِ أجنحتها لطالب العلم تواضعها وخشوعها، تعظيمًا وإجلالًا، كقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] وقيل معناه كفها عن الطيران وإقامتها عنده كقوله - صلَّى الله عليه وسلم - : «ما من قوم يذكرون الله ﷻ إلا حَفَّتهم الملائكة»، وقيل: معناه بَسْطُ أجنحتها وفرشها له

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٥٨٢٥)، وهو في (سنن أبي داود) برقم (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وهو حديث صحيح، انظر (صحيح الجامع) (٦٢٩٧).

(٢) ضعيف بهذا اللفظ، انظر تخريج المشكاة برقم ٢١١.

(٣) ضعيف جدًا بل موضوع، انظر ضعيف الجامع (٣٩٨٧)، وقد رواه الترمذي برقم (٢٦٨١)، وابن ماجة برقم (٢٢٢).

لتحمله عليها، وتبلّغه حيث يريد، وهوكناية عن إعانتها إيَّاه.

قوله: « لَيستغفر له مَن في السماوات»، أي: الملائكة، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، [الشورى: ٥] أي لمن في الأرض من العلماء الصلحاء، بدليل قوله ﷻ في الآية الأخرى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾، [غافر: ٧]، والتائبُ والمتَّبع لسبيل الله إنَّما هم العلماء الصلحاء. قوله - صلَّى الله عليه وسلم -: «ومَنْ في الأرض» يجوز [أن] يراد به الملائكةُ أيضًا، ويجوز أن يراد به المؤمنون. «الحِيتان» مُطْلَق السَّمَك لا الكبار خاصةً، كما يظنه بعضهم، وقوله «في جوف الماء» تأكيدٌ، لأن الحُوتَ الحي لا يكون إلا في الماء. والتوريث في لفظ الحديث، بمعنى: الإيراث يعرف ذلك بمعرفة لا فرقَ بينهما لغةً.

جُحر النملةِ بيتُها، ونَصَب النملة والحيتان لأن (حتَّى) هنا عاطفة. والصلاة من الله تعالى الرحمة، ومن غيره الدعاء والاستغفار.

٢- الحديث الثاني في المفتي بغير علم

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزِعُه من النَّاس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتَّى إذا لم يبْقَ عالمٌ اتخذ النَّاس رؤساء جهَّالًا فأفتوا بغير علمٍ فضلُّوا وأضلُّوا»، أخرجه (خ)(م)(ت).[1]

الشرح:

قوله عليه السلام: «اتخذ النَّاس رؤساء جهَّالًا» أي فوَّضوا منصب القضاء والفتوى إلى غير العلماء، فنشأت منه مفسدة الضَّلال والإضلال، والحديثُ يتضمَّن الحثَّ على التعلّم، ليدوم العلم ويبقى بنقل الخَلَف عن السلف.

٣- الحديث الثالث في بيان الإسلام والإيمان وغيرهما:

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله - صلَّى الله

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٥٨٧١)، والبخاري برقم (٣٤) ـ فتح الباري ـ ومسلم (٢٦٧٣)، والترمذي (٢٦٥٢).

عليه وسلم - ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديدُ بياضِ الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتَّى جلس إلى النبي - صلَّى الله عليه وسلم - فأسند ركبتَيْه إلى ركبتيه، ووضع كفَّيْه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرنا عن الإسلام فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويُصَدّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرنا عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة رَبَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشَّاء، يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبثت مليًا، وفي رواية: فلبث، أي النبي - صلَّى الله عليه وسلم - ثم قال: يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم». أخرجه الجماعة إلا (خ)(ط)،[1] وزاد البغوي رحمه الله عليه في (شرح السنة): أنه عليه السلام قال: وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا في صورته هذه.[2]

الشرح:

بينما أصْلُها: بَيْنَ بمعنى: وسطٍ، ثم زِيدتْ عليها (ما)، فقيل: بينما، وقد تُشَبَّعُ فتحتُها من غير زيادة (ما) فيقال: بَيْنَا، والمعنى واحد، وهي ظرف زمان تقول: بينما نحن نرقبهُ أتانا ـ أي: أتانا بينَ أوقاتِ رِقْبتِنا إيَّاه، وأسماء الزمان تضاف إلى الجمل كقولهم: أتيتُكَ زمنَ الحجاجِ أميرًا، وقوله ذاتَ يوم: قيل لفظة ذات زائدة تقديرها يومًا، وقيل: على صفة لموصوف محذوف، تقديره ساعة أو حالة ذات يوم، وفائدته تمييز تلك الساعة والحالة، عن كونها واقعة في الليل.

والإسلام في اللغة له معنيان: أحدهما الاستسلام والانقياد والطاعة ظاهرًا، والآخر الإيمان وهوالتصديق، يقال: أسلَمَ الرَّجُل أي آمَن، ومنه قوله تعالى:﴿فَأَخْرَجْنَا

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، والترمذي (٢٧٣٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والنسائي (ج٨/ص٩٧).

(٢) شرح السنة برقم (٢)، وهي زيادة صحيحة.

مَنۡ كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ [النساء: ٩٤] وقرئ السَلَم بمعنى الإسلام، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] وقوله - صلَّى الله عليه وسلم - لسفيان بن عبدالله الثقفي، حين قال له : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولًا، لا أسأل عنه أحدًا بعدك فقال: «قل: آمنت بالله ثم استقم»، والحديث في صحيح مسلم.(١)

والإيمان في اللغة عبارة عن مطلق التصديق،(٢) كذا نقله الجوهري وغيره، ومنه قول إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]أي بمصدِّقٍ لنا، وأمَّا حقيقةُ الإسلام والإيمان في الشرع؛ فهو ما فُسِّر به في الحديث، فإن قيل: إذا كان الإسلام في الشَّرع عبارةً عن التلفظ بالشهادتين، مع الإتيان بالأفعال الأربعة، فكيف يحكَم بإسلام من تلفظ بهما، قبل إتيانه بما سواهما؟ قلنا: المراد في الحديث اعتقاد وجوب تلك الأفعال الأربعة إذا جاء وقتها، والتلفظُ بها دليلٌ على وجودِ ذلك الاعتقاد، ولذلك حكم بإسلامه، وقوله في الحديث: «أن تؤمن بالله»، أي: تصدق، ومعنى التصديق باليوم الآخر؛ التصديق بالبعث بعد الموت، وبالجنة والنار. والمراد بالإحسان في الحديث الإخلاص، كذا قاله الخطابي.

«الأمارات»: جمع أمارة ومعناها: العلامة. «الرَّبُّ والربَّةُ» هنا، بمعنى: المولى والمالك، والمراد به أن السَّبي يكْثُر، فيُعرِض النَّاس عن نكاح الحرائر إلى وَطْءِ الإماء فتلِد الأمةُ مِن مولاها، فيكون ولدُها مولىً لها، لأنَّ مملوكَ الرجلِ كالمملوك لولده.

«العالة»: جمع عائل، وهو الفقير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى: ٨] والرِّعاء: جمع راعٍ، مثل جائع وجياع، ومن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [القصص: ٢٣] «والشاء» جمع شاة. وقوله: «يتطاولون في البنيان» أراد بالتطاول المطاولة، وعلى المباراة في الطُّول، ولم أجده في أصول اللغة بمعنى

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٢) وهو في مسلم برقم (٣٨).

(٢) وفي الشرع : قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمر بالأركان.

المطاولة، وكفى بالحديث حجَّة على صحَّتِه[١] ، والمراد أن الغنى يكثر، والنعمة تظهر، حتَّى يُعْرِض أهل الأخْبِيَة والخِيام، عن سُكنى الصحارى إلى سُكنى الأمصار، والمفاخرة بإعلاء الدُّور والقُصور. المَلِيُّ : الزَّمانُ الطويل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ ، [مريم:٤٦] فإن قيل: كيف قال عليه السلام: «وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا في صورته هذه» مع أنه عرَفه في تلك الصورة أيضًا، بدليل قوله لعمر: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم؟ قلنا: معناه إلا عرفته فيها حالةَ مجيئه، وهنا لم يعرفه إلا بعد انصرافه.

٤- الحديث الرابع ؛ في الحث على التمسك بالقرآن المجيد وبسيرة أهل البيت

عن زيد بن أرْقَم ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إنِّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعِتْرَتي أهل بيتي لن يفْتَرقا حتَّى يَرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تخْلُفوني فيهما». أخرجه (ت).[٢]

الشرح:

قوله: «حبل ممدود من السماء إلى الأرض»؛ أي: نورٌ نَزَل من السماء إلى الأرض، والعرب تشبِّه النورَ الممْتَدَّ بالحبل والخَيْط، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[البقرة: ١٨٧] والحبل أيضًا: العهد والأمان، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] أي: بعهده يعني بوَصِيَّته التي أوصاكم على لسان رسوله - صلَّى الله عليه وسلم - وقال أبو عُبيد: الاعتصامُ بحبل الله: اتِّباعُ القرآن، بدليل هذا الحديثِ، والحديثِ الذي يأتي بعده، وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] فمعناه: إلا بعهد من الله، وعهد من النَّاس. عِتْرةُ الرَّجُلِ: نَسْلُه ورهطُه الأدنَوْن. وقوله: « لن يفترقا » أي: لا يزالان متفقَيْن على الأمر بكلِّ خير، والنهي عن كل شرٍّ إلى يوم القيامة. وقوله: «حتَّى يردا عليَّ الحوض»، ورودُ العِتْرة عليه الحوضَ ظاهرٌ، أمَّا ورود القرآن؛ فيحتمل أن يكون

---

(١) هذا شاهد على رأي هذا الإمام اللغوي في مسألة الاحتجاج بالحديث النبوي في العربية.

(٢) جامع الأصول: الحديث رقم (٦٦)، وهو عند الترمذي برقم (٣٧٨٦)، وقد صححه الألباني في (الصحيحة) (١٧٦١).

المراد به أهل القرآن، المتمسكون به، ويحتمل أن يكون المراد بالتثنية أحدهما، وهو العترة، كما في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنَّما يخرج اللؤلؤ من البحر المِلْحِ خاصةً، لا مِن العَذْب. وقوله: «فانظروا كيف تخلفوني فيهما»، أي: كيف تكونون بعدي في اتباعهما، والتمسك بهما.

٥- الحديث الخامس؛ في الحثِّ على التمسُّك بالقرآن المجيد أيضًا

عن عليٍّ ﷺ، قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: «ألا إنَّها ستكون فتنة». قلت: فما المخرَج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله؛ فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، هو الفَصْل ليس بالهزْل، مَن تركه مِن جبَّارٍ قصَمَه الله، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبلُ الله المتين، وهو الذِّكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتَبِس به الألسنة، ولا يشبع من العلماء، ولا يَخلَق على كثرة الرَّد، ولا تنقَضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجنُّ إذْ سمعتُه، حتَّى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١-٢]، مَن قال به صدق، ومن عَمِل به أُجِر، ومَن حَكَم به عَدَل، ومن دعا إليه هداه الله إلى صراطٍ مستقيم». أخرجه (ت).[1]

الشرح:

« أَلا » - مفتوحًا مخفَّفًا - حرفُ تنبيهٍ، يُصَدَّر به الكلام التَّام، لتنبيه المخاطب على فهم الخطاب. والضميرُ في قوله: « إنَّها » ضميرُ الشأنِ والقِصَّة، أي: ألا إنَّ القَضِيَّة أو القصَّة ستكون فتنة، أي ستوجد، فهي كان التامَّة، وأراد بالفتنة ما يحدث من البدع والأهوال والمرج والهَرْج بعد وفاته - صلَّى الله عليه وسلم - قولُه: «فما المخرج منها؟» أي: فما المنقِذ مِن شرها؟ قوله: «نبأ ما قبلكم»؛ أي: خبر الأمم الماضية، والقرون الخالية. قوله: « وخبر ما بعدكم»، أي: خبر الدار الآخرة، التي تكون بعد فنائكم، وقوله: «وحكم ما بينكم»؛ أي: ما بينكم من المعاملات وغيرها. «هو الفصل»، أي: الفاصل بين الحق والباطل،

---

(١) جامع الأصول: حديث الترمذي رقم (٦٢٣١)، وهو ضعيف مرفوعًا وهكذا حكم الألباني بضعف سنده الترمذي برقم (٢٩٠٦).

تسميةً بالمصدر، كما سُمِّي فرقانًا: أي فارقًا بين الحق والباطل. قوله: «ليس بالهزل»؛ أي: هو جِدٌّ كلُّه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٤]. «الجبَّار» من النَّاس العاتي المتكبِّر عليهم، أي: مَن تَرَك العمل بما فيه من الجبَّارين أهلكه الله. «في غيره» أراد به: غير هدي القرآن، ممَّا يخالفه، لا كلَّ غيرٍ، حتَّى لا يكون ابتغاء الهدى في سُنَّة النبي - صلَّى الله عليه وسلم - وسِيرته قولًا وفعلًا سببًا للضلال، بل للهُدى، وكذا الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون. وتفسيرُ «الحَبْل» سبق في شرح الحديث الذي قبل هذا. و«المتين»: الصُّلب القوي: وهو الذِّكر الحكيم، أي: القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. و«الحكيم» بمعنى المحكَم، أي: العاري عن الاختلاف والاضطراب والتناقض، أو هو: فعيلٌ بمعنى فاعل، أي: أنه حاكم لكم وعليكم وفيكم. «الصراط المستقيم»: الطريق الذي لا اعوجاج فيه. قوله: «لا تزيغ الأهواء»؛ أي: لا تُزيغه، يعني: لا تُميله إلى الشهادة لها بمقتضى بِدَعِها، وقيل معناه: أن الأهواء لا تزيغ بسببه عن الحق قوله: «ولا تلتبس به الألسنة» أي:[.....][1] ، «ولا يخلَق على كثرة الرَّد». أي: لا يُمَلُّ ولا يُسأم منه. وأراد بالرَّدِّ تكراره بالتلاوة، وأصلُه من قولهم رَدَّ إليه جوابًا، أي رجعه. «ولا تنقضي عجائبه»، أي: أسراره ومعانيه اللَّطيفة، التي يكشِفها الله تعالى منه لخواصِّ عباده. «لم تنته الجِنُّ» ؛ أي:لم تَلْبَث إذْ سمعته حتَّى قالت: {إِنَّا سَمِعْنا قرآنًا عَجَبًا}؛ في ألفاظه ومعانيه. «الرُّشد» والرَّشاد: ضدّ الغَيِّ، «مَن قال به صدق»؛ أي: قال قولًا محتجًّا عليه به أو متمسِّكًا به، أو متمسكًا في إثباته به كان صادقًا، ويُروى صُدِّق بالضَّمِّ والتشديد، ومعناه صدَّقه النَّاس أي حكموا بصدقِه[....] [2] والله أعلم.

٦- الحديث السادس في لزوم السُّنَّة، ومجانبة البدعة

عن العِرباض بن سارية ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «أُوصِيكم بتقوى الله، والسَّمْع والطاعة، وإنْ عبدًا حبشيًّا، فإنه من يَعِشْ منكم بعدي

---

(١) بياض في الأصل بمقدار سطر تقريبًا.

(٢) الأسطر الأخيرة منغلقة في نسختي من الأصل، واجتهد في قراءتها.

فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة». أخرجه (د)(ت).[1]

الشرح:

التَّقوى والتُّقى بمعنىً واحد، وهو مِن قولك: اتَّقى يتَّقِي اتقاءً، إذا تجنَّب المعاصي فهو متَّقٍ وتقى بمعنىً واحدٍ. قوله: «والسَّمْع والطاعة»، أي: لأُولي الأمر بدليل قوله: «وإن عبدًا حبشيًّا»، أيْ اسمَعْ لصاحب الأمر وأطِعْهُ، وإن كان عبدًا حبشيًّا، فكان مضمرة. قوله: «فعليكم بسُنَّتي»، أي: الزَمُوها وتمسَّكوا بها، وهو مِن ألفاظ الإغراء، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ [المائدة: ١٠٥]. والسُّنة: السِّيرة، قال الهذلي:

فلا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَها فأولُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُها

الراشدُ: ضِدُّ الغاوي، وهو اسم فاعل، والمهْدِيُّ: الذي قد هداه الله إلى الحق، فهو اسم مفعول. النَّواجذُ: آخِر الأضراس، وهي أربعةٌ في أقصى كلِّ ناحيةٍ ناجِذٌ، ويسمَّى ضرس الحلم، لأنه لا ينبُت إلا بعد البلوغ، وكمال العقل، وهو مَثَلٌ في شِدَّةِ حفظ الشيء والتمسُّك به. «وإيَّاكم ومحدثاتِ الأمور»؛ أي: اجتنبوها وتباعدوا عنها، وهو من ألفاظ التحذير، والمراد بمحدثات الأمور ما تجدَّد منها، ممَّا ليس في الكتاب أو السنة أو الإجماع، فتلك هي البدعة المأمورُ باجتنابها، لا كلّ بدعة، فإنَّ البدعةَ اسمٌ مِن قولهم: ابتَدَع الأمرَ أي: ابتدأه وأحدَثَه على غير مثال، كالرِّفْعَةِ من الارتفاع والخِلْفَة من الاختلاف، وهي نوعان لأنها إن كانت داخلة تحت عموم ما حثَّ الله ﷻ أو رسولُه - صلَّى الله عليه وسلم - وحَرَّض، فهي بدعةٌ حسنة محمودة، كما لو ابتدعَ إنسان نوعًا من الجود، أو الأمر بالمعروف أو النهي عن

---

(١) جامع الأصول حديث رقم (٦٧): «عن العرباض ... قال: خطبنا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - خطبة وجلتها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله، كأنها خطبة مودّع فأوصنا، فقال: أوصيكم بتقوى الله ... الخ» وهو في (أبي داود) برقم (٤٦٠٧)، وعند الترمذي برقم (٢٦٧٦)، وسنده صحيح (تخريج المشكاة) ١/١٣٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣٥).

المنكر، أو غير ذلك من الطاعات على وجه لم يُسبق إليه، وإليها الإشارة بقوله - صلَّى الله عليه وسلم -:« مَن سَنَّ سُنةً حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها»،[١] وقال عمر ﷺ في صلاة التراويح: «نِعْمَت البدعة هذه»، لأن أداءها في الجماعة جميع الشهر لم يكن في زمن النبي - صلَّى الله عليه وسلم - بل أوَّل مَن فعله عمر ﷺ. وإن كانت البدعة داخلة تحت عموم ما نهى الله ﷻ ورسوله - صلَّى الله عليه وسلم - عنه، فهي بدعة سيئة مذمومة، وإليها الإشارة بقوله - صلَّى الله عليه وسلم -: «ومَن سنَّ سنةً سيئة كان عليه وِزْرها ووزر من عمل بها». و«المحْدَثة» صفةٌ لمحذوف تقديره: فإنَّ كلّ قضية أو كلّ طريقةٍ محدثةٍ.[٢]

٧- الحديث السابع، في تمثيل ما بُعِث به النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلم - من الهُدى والعلم

عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إنَّ مَثَل ما بعَثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت فيها طائفة طيّبة قَبِلَت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادِب أمسَكَت الماء، فنفع الله بها النَّاس، فشربوا وسقوا ورعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنَّما هي قِيعان، لا تُمسك ماءً، ولا تُنبت كلأً، فذلك مَثَل مَن فَقُهَ في دين الله ﷻ، ونفعه الله بما بعثني الله به، فعَلِم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدى الله الذي أُرسلت به». أخرجه (خ)(م).[٣]

الشرح:

الغَيْث: المطرُ. الطائفةُ مِن الشيء: قطعةٌ منه. الكلأُ العشبُ رَطْبًا كان أو يابسًا، والعشبُ الكلأ الرَّطب، وهو في الحديث تأكيدٌ للكلأ، لأنهما فيه بمعنىً واحد، والمراد بالأجادب: الأرض الصلبة التي تمسك الماء، والرواية المشهورة أجادب بالدال والباء، كذا قال الحُميدي، ورواه الهَرَوي في شرح الغَرِيْبَيْنِ: (أجارد) براء قبل الدال، يقال: مكانٌ أجرد وأرضٌ جرداء إذا لم تنبت، وقال الهروي أيضًا في كتابه في

---

(١) يُفهم من وصف الفاروق ﷺ في تلك القصة لما جرى المعنى اللغوي في كلمة (بدعة).

(٢) رواه البخاري ـ الفتح ـ برقم (٦٤٨٣)، ومسلم برقم (٢٢٨٤).

(٣) جامع الأصول الحديث رقم (٧٠)، رواه مسلم وغيره، وانظر (صحيح الجامع الصغير) برقم (٦٣٠٥).

موضع آخر: وكانت فيها أخاذات أمسكت الماء، وقال: الأخاذاتُ الغُدران، واحدتُها: أُخاذة. قوله: «فنفع الله بها النَّاس»؛ راجع إلى القسمين الطائفة والأجادب، وقوله: «ورعوا » راجعٌ إلى الطائفة خاصة، فالطائفةُ مَثَل لخصوصِ العلماء، والأجادبُ مَثَلٌ لعُمومهم، لأن أصل قوام البَدَن بالغذاء، والماءُ المشروبُ تَبَع له، لأنَّه مُنفِذٌ له ومبذرق وليس بِغَاذٍ. القِيعان: جمع قاع وهو المستوي من الأرض. فَقُهَ الرَّجل بالضَّمِّ فقاهةً، أي: صار فقيهًا، وفَقِهَ بالكسر فِقْهًا, أي: فهِم، فأصلُ الفقه الفَهْم مطلقًا، ثم خُصَّ به علم الشريعة، وسُمِّي العالم به: فقيهًا. وقوله: « لم يرفع بذلك رأسًا»، أي: لم يلتفت إليه، ولم يعبأ به، فإن قيل: كيف قال - صلَّى الله عليه وسلم - في أوَّل الحديث: «إن مَثَل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم»، وقال في آخره: « فذلك مَثَلُ من فَقُهَ في دين الله» إلى آخره، والأوَّلُ تمثيلٌ للعلم والهدى، والثاني تمثيلٌ للقابل له وغير القابل؟ قلنا: أراد بأول الحديث تشبيه الهدي والعلم بالغيث، وأراد بآخره تشبيه القابل له وغير القابل بأقسام الأرض الثلاثة المذكورة.

٨- الحديث الثامن ؛ في غَلَبَة الشَّهوة، ودواعي النَّفْس الأمَّارة بالسوء على نصيحة الرسول وموعظته صلَّى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: «إنَّما مَثَلي ومَثَل النَّاس كمَثل رجلٍ استوقَد نارًا فلمَّا أضاءت ما حوله، جعلَ الفَراشُ وهذه الدَّوابُّ التي تقَعُ في النَّار يقَعْن فيها فجَعَل ينزعُهنَّ ويَغْلِبْنَه، فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحُجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها». أخرجه (خ)(م).[1]

الشرح:

«استوقد نارًا» ؛ أي أوقَدَها. «أضاءَت ما حوله»: يجوز أن تكون ما زائدة أو بمعنى الذي، أو نكرة موصوفة، أي مكانًا حوله، وأضاءت لازمًا؛ بمعنى: أشرقت، ويجوز أن تكون «ما» منصوبًا على أنه مفعول به، بمعنى الذي. وأضاءت متعديًا أي فلمّا نوّرت النار المكان الذي حوله، أي جعلته منيرًا. وأضاء، يكون لازمًا ومتعديًا. الفَراش: جمع فَرَاشة، وهي الطائر الذي يُلقِي نفسَه في النار، اقتَحَم الشيء: دَخَله

(١) جامع الأصول رقم (٧٢) رواه البخاري (٣٤٢٦) و(٦٤٨٣)، ورواه مسلم (٢٢٨٤) واللفظ للبخاري.

بعُنف، كذا نقله أئمة اللغة، وقد جاء في الحديث مُعَدًّى بحرف الجرِّ. الحُجُز: جمع حُجْزَه وهي معْقِدُ الإزارِ وموضعُ التِّكَّة من السراويل، وقوله: عن النار: أي أصرفكم عن النار، أو أردُّكم عنها ونحوه.

٩- الحديث التاسع، في الرِّفق في العبادة والاعتدال فيها

عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ثلاثة رَهْطٍ إلى بيوت أزواج النبيِّ -صلَّى الله عليه وسلم -، يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، وقالوا: فأين نحن من رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -، وقد غُفر له ما تقدَّم مِن ذَنْبه وما تأخر، فقال أحدهم: أمَّا أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - إليهم، فقال: «أنتم الذي قلتم: كذا وكذا، أمَا والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصَلِّي وأرقُد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منِّي». (ح)(م).[1]

الشرح:

الرَّهْطُ: ما دُون العشرة من الرِّجال خاصةً، ولا واحد له من لفظه. أراد بقوله: تَقالُّوها :استقَلُّوها، ولم أجده بهذا المعنى في أصول اللغة، ولكن قد نقل صاحبُ (جامع الأصول)، في غريب حرف الفاء؛ أنه يقال: استقَلَّه وتقَلَّلَه وتقالَّه؛ أي: عدَّه قليلًا. ولا أعلم من أين نَقَله؟ ولكن أنَسًا عربيٌّ فصيح فتلفُّظُه به دليلٌ على صحَّته. وقوله - صلَّى الله عليه وسلم -: «أنتم الذي »أي: الذين، فحذف النون تخفيفًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾[التوبة: ٦٩] في أحد التأويلَيْن، وقول الشاعر:

وإنَّ الذي حانتْ بِفَلْج دماؤُهم ... هُمُ القومُ كلُّ القوم يا أمَّ خالدِ

«لأخشاكم الله» أيْ: أخوفكم منه. رَغِب عن كذا: إذا زَهِد فيه ولم يُرِدْه، والسُّنَّةُ: السِّيرة. قوله: «فليس مني»: مجازٌ عن تَرْكه - صلَّى الله عليه وسلم -، الاعتناء بالرَّاغب عن سُنَّتِه، وترك دَفْع المكارة عنه في الدنيا والآخرة، لأنَّ زَجْره لا يخرِجُه عن كونه منه، بتَرْكه سُنَّتَه.

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٨٤) البخاري (٥٠٦٣) واللفظ له، مسلم (١٤٠١).

١٠- الحديث العاشر؛ في معنى الذي قَبْله

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: أُخْبِرَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم -: أنِّي أقول: واللهِ لأصومَنَّ النهار، ولأقومن الليل ما عِشْت، فقال:«أنت الذي تقول ذلك؟» قلت: قد قلته، قال: «فإنك لا تستطيع ذلك؛ فصُمْ وأفطرْ، ونَمْ وقُمْ، وصُمْ من الشهر ثلاثة أيّام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مِثل صيام الدهر»، فقلت: إني أُطيق أفضل من ذلك، قال: «فصُمْ يومًا وأفطر يومين»، قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فصمْ يومًا وأفطر يومًا، فذلك صيام داود - عليه السلام- وهو أفضل الصيام»، قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، فقال: « لا أفضلَ من ذلك، فلا تفعلْ، صُمْ وأفطرْ ونمْ وقمْ، فإن لجسَدِك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لولدك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا، وإن لِزَوْرِكَ عليك حقًّا»، فكان عبدالله يقول بعدما كبر: يا ليْتَني قَبِلْتُ رُخصة النبي - صلَّى الله عليه وسلم -.[١] وفي رواية أخرى:[٢] « ألَمْ أُخْبَرْ أنك تصوم الدهر، وتقرأ القرآن كلَّ ليلة؟ »قلت: بلى يا رسول الله، لم أُرِدْ بذلك إلا خيرًا، قال: « فصُمْ صومَ داودَ، فإنه كان أعبد النَّاس، وأقرأ القرآن في كل شهر»، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فاقرأه في كل عشرين»، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: « فاقرأه في كل عشر»، قلت: إني أطيق أفضل مِن ذلك، قال: «فاقرأه في سبعٍ، ولا تَزِدْ على ذلك، إنك لا تدري لعلك يطول بك عُمُر»، فصِرْتُ إلى الذي قال لي، فلما كَبرتُ ودِدْتُ أني كنت قبلتُ رخصةَ نبي الله - صلَّى الله عليه وسلم -. وفي رواية أخرى:[٣] أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - قال: « إنَّ أحبَّ الصيام إلى الله صيام داود عليه السلام، وأحبَّ الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا». أخرجه (خ)(م).

الشرح:

قوله - صلَّى الله عليه وسلم -: «وصُمْ من الشهر ثلاثة أيام»: أراد بها أيام

---

(١) البخاري (١٩٧٦) وَ(٣٤١٨)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) البخاري (١٩٧٥) وَ(١٩٧٧) وَ(٦١٣٤)، ومسلم (١١٥٩).

(٣) البخاري (٣٤٢٠)، ومسلم (١١٥٩).

البيض، وهي اليوم الثالثَ عشرَ من الشهر، والرابعَ عشر، والخامسَ عشر، لأنه - صلَّى الله عليه وسلم - أمر بصيام هذه الأيام وقال: «هو كهيئة الدهر»، وفي رواية أخرى: «هو كلّ الشهر وإنَّما كان صوم داود - عليه السلام- أفضل الصيام، لأنه أشَقّ على النفس من الصوم المتَّصِل، لأنها تعتاد المتصل فيسهل عليها، بخلاف المتفرِّق. الزَّوْر: جمع زائر، يقال: زائرٌ وزَوْر وزَوَّار مثل سافرٍ وسَفْرٍ وسَفَّارٍ.

١١- الحديث الحادي عشر، في معنى اللذين قبله

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «يا أيها النَّاس خُذوا من الأعمال ما تُطِيقون؛ فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا، وإن أحبَّ الأعمال إلى الله ما دام وإنْ قَلَّ».[١] وفي رواية أخرى:[٢] « سَدِّدوا وقاربوا وأبشروا، واعلموا: أنه لن يُدخِلَ أحدَكم عملُه الجنةَ»، قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغَمَّدني الله بمغفرةٍ ورحمةٍ». أخرجه (خ)(م).[٣]

الشرح:

قال بعض العلماء: المرادُ بالحديث؛ أنَّ الله لا يَمَلُّ أبدًا مَلِلْتم أو لم تَمَلُّوا فجرى مجرى قولهم: لا أفعله حتَّى يشيب الغُراب، ويبْيَضَّ الفأرُ، أي: لا أفعله أبداً. قلت: ويَرِد على هذا أنه غير مطابقٍ للنظير، وذلك لأن الغاية في النظير لما كانت مستحيلةً عادةً كان تعليق الفعل على وجوده إعداما له، وأما في الحديث فالغاية غير مستحيلة عادةً، بل هي غالبة الوجود فلم يكن تعليق الفعل على وجوده إعدامًا له، وقيل: المرادُ به؛ أن الله لا يطْرَحكم حتَّى تتركوا العمل له، وتزهدوا في الرغبة إليه، فسَمَّى الفعلين: مَلَلًا وكلاهما ليس بملٍ كعادة العرب في وضع الفعل موضع الفعل، إذا اتفقا في المعنى كقول الشاعر:

ثُمَّ أضْحَوْا لَعِبَ الدهرُ بهم ... وكذاك الدهرُ يُودِى بالرِّجالِ

فجعل إهلاكه إيَّاهم لعِبًا لمَّا أشبَهَ اللَّعِب، وقيل: المراد به؛ أن الله لا يقطع عنكم فَضْلَه حتَّى تمَلُّوا سؤاله، فسمَّى فعل الله تعالى: مَللًا وليس بملٍ للمقابلة

---

(١) البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢).

(٢) البخاري (٦٤٦٤) وَ(٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨).

(٣) جامع الأصول: حديث رقم (٨٨).

والازدواج، كقوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى: ٤٠] وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ ﴾ [البقرة: ١٩٤] ونظائره كثيرة. قوله: «سددوا»؛ أي: اقتصدوا في العبادة، ولا تغلوا فيها، وقيل معناه: اقصُدوا السداد فيها، وهو الصواب، وقوله: «قارِبوا»: قد فُسِّرَ – أيضًا - بالقصد في العبادة، وبنفي الغلو فيها. وقوله: « وأبشروا» يعني: إذا سدَّدتُم وقاربتم. تغمَّده بالرحمة: غشَّاه إيَّاه، وكأنه جعلها كالغِمد له.

١٢- الحديث الثاني عشر؛ في النهي عن المنكر

عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: «من رأى منكم منكرًا فليُغَيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». أخرجه (د) (س)، (ت)، (م).[١]

الشرح:

المنكَر: كلُّ شيء مستقبَح عقلًا أو شرعًا، ومعنى تغييره باليَدِ: أخْذ المغصوب من الغاصب، ودفعه إلى المغصوب منه؛ وإراقة الخمر، وكَسْر المعازف[٢]، وكسر آواني الذهب والفضة، ونحو ذلك. ومعنى تغييره باللسان: السعي في إزالته بالوعظ والنُّصح برفقٍ، فإن لم ينفع فبالزَّجْر والتوبيخ والتعنيف. ومعنى تغييره بالقلب: صرف الهمَّة إلى تغييره، والتوجُّه إلى الله تعالى بقلبه مخلصًا نيَّتَه في ذلك. وقوله: «وذلك أضعف الإيمان»؛ قيل :معناه أضعفُ إيمانِ الفاعِلِين للمنكَر، حيث لم يستطع النفي أن يغيِّر منكَرَهم إلا بقلبه، لا أضعفُ إيمانِ المنكِرِ، ويؤيِّدُه أنه لو أراد ضعفَ إيمانِ المنكِرِ لقال: فمَنْ لم يفعلْ ولم يقل: من لم يستطع.[٣]

١٣- الحديث الثالث عشر؛ في معنى الذي قبله

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - : إن أول ما

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (١٠٧)، رواه مسلم (٤٩)، والترمذي (٢١٧٢)، وأبو داود (١١٤٠)، والنسائي (٥٠٠٨)، والحديث لم يروه البخاري في صحيحه.

(٢) قال المؤلف هذا وهو في قونية بين أتباع جلال الدين الرومي الذين يقدّسون الناي وسواه من آلات المعازف، فتأمَّل.

(٣) لا حجة لخوارج الزمان في هذا الحديث ، وهو مما ضعفه الألباني في الضعيفة (١١٠٥)، وهو في سنن أبي داود برقم (٤٣٣٦)، وضعيف الجامع (١٨٢٢).

دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتَّقِ اللهَ ودَعْ ما تصنع، فإنه لا يحلُّ لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيلَه وشَرِيبه وقَعِيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض. ثم قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨] إلى قوله تعالى: ﴿فَٰسِقُونَ﴾, ثم قال: «كلَّا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنَّه على الحق أطرًا، أو لتقصرنه على الحق قصرًا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم». أخرجه (د).[1]

الشرح:

المراد بالنقص: نقص نعمة الطاعة والتقوى ونحوها. الأكيل والمواكِل وهو: الذي يأكل مع الإنسان، والشَّريب بالمشارب، والقعيد المقاعد وهو: المجالس، ومنه قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ [ق: ١٧] وكل هذا من بناء فعيل: بمعنى مفاعلٍ. كلَّا: كلمة زَجْرٍ وردعٍ، معناها: انتهِ، لا تفعل، وقيل: معناه: ليس الأمر كما ظننت، ومنْ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾ [المدثر: ١٥] وقد تكون بمعنى حقًا ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ﴾ [العلق: ١٥] وهي في الحديث تحتمل الزجر، وتحتمل تصدير القسم بذكر الحق. أخذ على يد الظالم، أي: كَفَّه عن الظلم وصرَفه، كما يقال: ضرب على يده إذا حجر عليه. الأطر: العطف فمعنى الحديث: ولتعطفنه وتَرُدُّنه إلى الحق الذي خالفه. والقصر: الحبس، ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ [الرحمن: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، والمراد بحبس الظالم على الحق: منعه عن مجاوزته. معنى ضرب قلوب بعضهم ببعض، أو على بعض: الطَّبْع عليها.[2]

١٤- الحديث الرابع عشر في الحث على فعل الخير وترك الشرِّ

عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «على كل مسلِم صدقة، فإنْ لم يجد يعتَمِل بيديه فينفع نفسه، ويتصَدَّق، فإن لم يستطع يُعِين ذا

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (١٠٩).

(٢) والواقع في أيامنا أنَّ كثيرًا من خوارجه وإرهابييه هم أكثر الناس المطبوع على قلوبهم.

الحاجة الملهُوف، فإن لم يستطع يأمر بالمعروف أو الخير، فإن لم يفعل يُمسِك عن الشرِّ، فإنها صدقة». أخرجه (خ)(م). [١]

الشرح:

قوله: «على كل مسلِم صدقة»، يعني: كلَّ يومٍ شكرًا لِدوامِ نِعَمِ الله ﷻ، الظاهرة والباطنة عليه، وقد جاء ذكر اليوم مصرَّحًا به في حديث أبي هريرة ﷺ، أنه - صلَّى الله عليه وسلم - قال: «كل سُلاَمَى من النَّاس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس ...». الحديث أخرجه (خ)(م). [٢]

الاعتمال: الاضطراب في العمل، قال سيبويه: اعتمل للزيادة على معنى عمل، مثل: كسب واكتسب، فمعنى: كسب أصاب، ومعنى: اكتسب تصرف وطلب، وقال الشاعر:

إن الكريمَ وأبيكَ يَعْتَمِلْ إنْ لم يجدْ يومًا على مَن يتَّكِلْ

والملهُوف: المظلوم الذي يستغيث. قوله: «يأمر بالمعروف أو الخير»، يعني: أو يأمر بغير المعروف من الخير، لأن المعروف فرْدٌ من أفراد الخير، وإنَّما خصَّه بالذكر وقدَّمه لزيادة فضله وشرفه على غيره من الخير. قوله: «فإنها صدقة»، أي: هذه الخَصْلة، أو الفعلة.

١٥- الحديث الخامس عشر؛ في بيان ما للإنسان من ماله

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - «يقول العبدُ: مالي مالي، وإنَّما له من ماله ثلاث؛ ما أكلَ فأفنى، أو لَبِس فأبلى، أو أعطى فاقْتَنى، ما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للنَّاس». أخرجه (م). [٣]

الشرح:

قوله: «ثلاث» أي: ثلاثةُ أشياء لأنَّ العرب تحذف التاء من العدد في الغالب إذا لم يكن المعدود مذكورًا، ومِنه قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾

---

(١) البخاري (١٤٤٥) وَ(٦٠٢٢)، ومسلم (١٠٠٨). وهو في جامع الأصول: برقم (٢٢٩).

(٢) البخاري (٢٧٠٧) وَ(٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

(٣) مسلم برقم (٢٩٥٩)، وجامع الأصول: حديث رقم (٤٨٥).

[البقرة: ٢٣٤]، وقوله - صلَّى الله عليه وسلم -: «مَن صام رمضان وأتبعه بستٍّ من شوَّال»، والمرادُ الأيامَ فيهما. وإنَّما قال في المأكول: «أفْنَى»، وفي الملبوس: «أبْلَى»، لأنَّ المأكولَ يَعدم بمجرَّدِ الأكل، والملبوس لا يعدم بمجرد اللُّبس، ولكنه يَرِثُّ ويَبْلى بمرور الأيام، قوله: «أوْ أعطى»؛ يريد به كلَّ إعطاءٍ يجلب ثوابًا؛ كالصدقة ونحوها، والاقتناءُ: ادِّخار المال لا لقصد التجارة. قوله: «ما سِوَى ذلك»، أي: ما سوى هذه الأشياء الثلاثة، وذلك يُشار به إلى الواحد والمثنَّى والمجموع، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨]، وقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران: ١٤]، إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤].

١٦- الحديث السادس عشر؛ في الحث على قراءة القرآن

عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «مَثَل المؤمن الذي يَقرأ القرآن مَثَل الأُتْرُجَّة؛ ريحها طيِّب، وطعمُها طيِّب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حُلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مُرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمَثل الحَنْظَلة لا ريح لها وطعمها مُر»، وفي رواية أخرى: ومثل الفاجر في الموضعَيْن. أخرجه الجماعة إلا (ط).[1]

الشرح:

المراد بالطَّعم في المؤمن: ما يشتمل عليه قلبه من حلاوة الإيمان والإخلاص، والمراد به في المنافق والفاجر: ما يشتمل عليه قلبهما من حيث النفاق والفجور، وإنَّما شبَّه التلاوة بالريح، لأن نفعها يصِل إلى مَن يقُربُ من التالي بالإيقاظ والوعظ ونحوهما، كما يصل ريح الطِّيب إلى من يَقُرب من حامِله، فإن قيل: الأترجَّة تشتمل على طُعومٍ ثلاثةٍ؛ مُرٍّ وهو قِشرها، وتَفِهٍ وهو لحمها، وحامضٍ وهو حُمَّاضُها، فأيُّها هو الطيِّب؟ قلنا [...] [2].

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٩٠٧)، البخاري (٥٤٢٧، ٧٥٦٠)، ومسلم (٧٩٧)، والترمذي (٢٨٦٥)، والنسائي (٥٠٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٠).

(٢) بياض بقدر سطر.

١٧- الحديث السابع عشر، في حب الله تعالى للتوبة

عن ابن مسعود ﷺ، قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -، يقول: «للهُ أفرحُ بتوبة عبده المؤمن، مِن رجل نزل في أرض دَوِيَّة مَهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومةً، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتَّى إذا اشتَدَّ عليه الحرُّ والعطش، أوْ ما شاء الله، قال: أرجعُ إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتَّى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه. فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن، من هذا براحلتِه وزادِه». أخرجه (خ)(م)(ت).[١]

الشرح:

قوله: «أفرحُ بتوبة عبده المؤمن»، أي: أرضى بها، أو أشكر عليها، فأطلق لفظ الفرح على لازمِه[٢]. الدَّوِيَّة: المفازة. الراحلة: الناقة التي تصلح لأن ترحل، وقيل: هي المركَب من الإبل، ذكرًا كان أو أنثى. قوله: «أو ما شاء الله»، أي: وما شاء الله غيرهما؛ كالحزن والخوف والتعب ونحوها فـ«أوْ» بمعنى: الواو.

١٨- الحديث الثامن عشر؛ في شُكر المنعِم، وغيره

عن جابر ﷺ، قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «من أُعطيَ عطاءً فليَجْزِ به، إنْ وجد، فإن لم يجد، فليُثْنِ به، فإن مَن أثنى به فقد شَكره، ومن كتمه فقد كَفَره، ومَن تَحلَّى بما لم يُعْطَ كان كلابس ثَوْبَي زُور». أخرجه (د).[٣]

الشرح:

قوله: «ومن تحلَّى بما لم يُعط»، أي: ومن وصف نفسه بقوله أو بفعله، بما لم يُعطِه الله تعالى. قوله: « كلابس ثوبي زورٍ»، قيل: هو الذي يُزَوِّر على النَّاس، بإظهار زِيِّ أهل الزُّهد والصَّلاح، ولُبس ثيابِ أهل التقشُّف رياءً، وقال الأزهري: هو الذي

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٩٨٠)، البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤)، والترمذي (٢٤٩٨).

(٢) هذا التأويل مردود، ولا داعي له أصلًا ، لأن الصفة تتبع الموصوف كمالاً ونقصًا ، وصفة الفرح لله عز وجل من ذلك ، وكل ما يقال في صفة الرضا له - سبحانه - يقال في صفة الفرح.

(٣) جامع الأصول: حديث رقم (١٠٣٢)، وهو في سنن أبي داود برقم (٤٨١٣)، وفي سنن الترمذي برقم (٢٠٣٤)، وقال الألباني في تخريج المشكاة رقم (٢٩٥٧) إسناده ضعيف، والحديث حسن أو أعلى وبيانه في الصحيحة (٦١٧، ٦١٨).

يَخِيط كُمًّا على كُمٍّ، فيَظهر لمن يراه أنَّ عليه قميصَيْن، وليس عليه إلا قميص واحد، له من كلِّ جانبٍ كُمَّان.

١٩- الحديث التاسَع عشَر، في الحث على الجهاد

عن سلمة بن نُفيل قال: قال رجل: يا رسول الله؛ أذال النَّاسُ الخيلَ ووضعوا السِّلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحربُ أوزارها، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «كذَبوا، الآن جاء القتال، ولا تزال من أمَّتي أمَّةٌ يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوامٍ، ويرزقهم منهم حتَّى تقوم الساعة، وحتَّى يأتي وعدُ الله، الخيلُ معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يُوحَى إليَّ أني مقبوضٌ غير مُلَبَّثٍ، وأنتم تتبعوني، ألا فلا يضرب بعضُكم رقابَ بعضٍ، وعُقْر دار المؤمنين الشام. أخرجه (س).[1]

الشرح:

الإذالة: الإهانة، يقال: أذال فَرَسه وغُلامه، أي: امتهنَه، وفي الحديث: نَهى عن إذالة الخيل، وامتهانها بالعمل والحمل عليها، وفي المثل: «أَخْيَل مِن مذالةٍ». وهي الأَمة لأنها تُهان، وهي تتبختر. قوله: قد وضعت الحرب أوزارها أي قد وضع أهلها السلاح، فلم يبق إلا مسلم أو مسالم، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]، قال الغزيزي: لم يُسمَعْ لأوزارِ الحرب واحد، وقياسه وزر، وقال الجوهري: الوزر السلاح وقد فسَّر الأعشى أوزار الحرب بقوله:

وأعْدَدْتُ للحربِ أوزارها ... رِماحًا طِوالًا وخيلًا ذكورًا

ومن نَسْجِ داودَ تُحدى بها ... على أثر الحي عِيرًا قعيرًا

أي تحدى بها الإبل عيرًا قعيرًا، وإنَّما سُمِّي السِّلاح: وزرًا؛ لأنه يثقل على لابسه، وأصل الوزر الثقل والحِمل. قوله: «ولا تزال أُمة» أي: جماعة وطائفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣]. وقوله: «من أمَّتي»، أي: من أهل ديني، ومنه قوله تعالى:

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (١٠٤٨)، وهو في سنن النسائي برقم (٣٥٦١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٣٥).

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران:١١٠]، قوله: «على الحق»، أي: على طلب الحق ممن يقاتلونهم، أو معناه: يقاتلون وهم على الحق. قوله: «ويزيغ الله لهم قلوب أقوام»، أي: يُميلها عن الحق وعن الإسلام، ليجاهدوهم فيغنموا أو هو معنى قوله - صلَّى الله عليه وسلم -: «ويرزقهم منهم» والمراد بوعد الله: موعودُه، تسميةً بالمصدر، وهو ما وَعَدَ من أمور الآخرة. النواصي: جمع ناصية، وهو شَعر مقدَّم الرأس، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾، [الرحمن:٤١] وقوله: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، [العلق:١٥] وأراد بالخير: المال والثواب المستفاد بالجهاد عليها. قوله: «وهو» ضمير الشأن والقصَّة أي: الأمر والشأن أنه أُوحي إلي، فوضع المضارع موضع الماضي. قوله: «غير مُلَبَّثٍ»، أي: غير مُبْقًى في الدنيا، «ألا» حرف تنبيه، والمراد بما بعده: النهي عن قتال المسلمين بعضهم بعضًا عند حدوث الفِتَن. قوله: « وعقر دار المؤمنين الشام»: عُقر الدار بفتح العين وضمها: أصلها، وهو محلّةُ لقوم، وهذا مدحٌ للشام، حثٌّ على الهجرة إليه والمقام به خصوصًا في آخر الزمان، وهو زماننا هذا[١]، ويؤيده ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص، ﷺ قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: «ستكون هجرةٌ بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجَر إبراهيم، ويبقى في كل أرضٍ إذ ذاك شرار أهلها، تلفظهم أَرَضُوهم، تقذرهم نفس الله ﷻ ويحشرهم إلى النار مع القردة والخنازير». أخرجه (د).[٢]

وما رواه زيد بن ثابت قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - «طوبى للشام». فقلت: لم ذاك يا رسول الله قال: «لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها». أخرجه (ت).[٣]

وما رواه ابن حوالة قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - : «سيصبح الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة، جُند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق. فقلت: خِرْ لي إنْ أدركتُ ذلك. فقال: «عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه،

---

(١) و كان زمانه الذي كتب فيه هذا الكتاب زمن مظالم المغول .

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٦٩٨٧)، وهو في سنن أبي داود برقم (٢٤٨٢)، وقد صححه الشيخ الألباني أخيرًا في الصحيحة برقم (٣٢٠٣).

(٣) جامع الأصول: حديث رقم (٦٩٨٨)، وهو في سنن الترمذي برقم (٣٩٥٤)، وقد صححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٥٠٢).

يجتبِي إليها خِيرته، وإن الله توكَّل لي بالشام وأهله». أخرجه (ت).[١]

الشرح:

أراد بالهجرة الثانية: الهجرة إلى الشام، وهو مُهاجَر إبراهيم عليه السلام. تلفظهم، أي: تقذفهم وترميهم. قوله: « تقذرهم نَفْسُ الله ﷻ » معناه: أنه سبحانه وتعالى يكره خروجهم إليها ومقامهم بها، فلا يوفقهم لذلك، فصاروا بالرد وترك القبول كالشيء الذي تقذره النفس، ولا تقبله. «طوبى للشام»، أي طِيب العينين له، وقيل: الخير له. «خِرْ لي»، أي: اخْتَرْ لي ما هو الأصلح. الاجتباء: الاصطفاء، ويقال: الاختيار.

٢٠- الحديث العشرون، في ذمِّ طالب الدنيا، ومدح المجاهد في سبيل الله

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «تعِس عبد الدينار، وعبد الدرهم، والقطيفة والخميصة؛ إن أُعطيَ رضي، وإن لم يُعْطَ سخِطَ، تعس وانتَكَس، وإذا شِيكَ فلا انتقَش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعثٌ رأسُه مغبرَّة قدَماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة كان في الساقةِ، إن استأذن لم يُؤذن له، وإن شَفَع لم يُشَفَّعْ». أخرجه (خ).[٢]

الشرح:

«تَعِس» لفظُه خبرٌ، ومعناه دعاءٌ عليه بالهلاك، وأصلُه الوقوعُ على الوجه من العِثار. القطيفة: كِساء له خَمل، والخميصة: كساء أسود مُربَّع، له عَلَمان، فإن لم يكن مُعْلمًا فليس بخميصة. «انتكس» أي: انقلب على رأسه، أو انعكس عليه أمره من الظَّفَر إلى الخَيْبة، ومن الرِّبْح إلى الخُسران. شِيكَ الرَّجُل: إذا دخلَتْ في جسده

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٦٩٨٩)، وهو في سنن أبي داود برقم (٣٢٠٣)، بلفظ (سيصير الأمر) وزيادة (من عبادة)، فأما إذا أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم فإن الله توكل لي بالشام وأهله، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/١٩٢/٣٠٨٧)، وصححه في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، والحديث لم أجده في سنن الترمذي، ولم يذكر ذلك المنذري في الترغيب ولا الألباني في تخريج الفضائل. والله أعلم.

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٧٢٠٧)، والبخاري (٢٨٨٧).

شَوكة، وهو من بناء ما لم يسمَّ فاعله ، تقول: شِكْتُه أَشُوكُه شَوكًا، إذا أدخلتَ في جسده شوكة. « لا انتقش»، أي: فلا انتقش الشوكة، يعني: فلا استخرَجَها، يقال: انتقش الشوكة أي: استخرجها. «طوبى له»: أي طِيبُ العيش له، وقيل: الخير له، وأقصى الأمنية، وقيل: طوبى اسم الجَنَّةِ بالهندية، وقيل: هي شجرةٌ في الجنة، وقيل: هي شجرة تُظِلُّ الجِنان كلها، ويقال: طوبى له، وطُوبَاه. «أشعثٌ رأسُه»: أي مُغَيَّر. الحراسة: الحفظ، وأراد بها حفظ الجيش وهم نائمون. والسَّاقة: مؤخَّر الجيش، الذين يسوقونه ويحفظونه من ورائه. «لم يُشفَّع»؛ أي: لم تُقْبَل شفاعته، والمراد: أنه أشعثُ أغبرُ لا يُؤْبَه له، مع كونه من خواصِّ عِباد الله تعالى.

٢١- الحديث الحادي والعشرون، في صِدْق النِّية

عن شدَّاد بن الهاد قال: جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -، فآمَن به واتَّبعه، ثُمَّ قال: أُهاجِر معك. فأوصى به النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلم - بعض أصحابه، فلما كانت غزوةٌ غنِم النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلم - شيئًا، فلما قَسَمه قَسَم له وأعطى أصحابه ما قسَم له، وكان يَرْعَى ظَهْرَهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسْم قَسَمَه لك رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - فأخذ وجاء به إليه، فقال : ما هذا؟ قال: «قسمته لك». قال: ما على هذا اتَّبعتكَ ولكن اتبعتُك على أن أُرمى إلى ههنا - وأشار إلى حَلْقِه - بسَهْمٍ، فأموت فأدخل الجنة، فقال: «إنْ تَصْدِق اللهَ يصدُقك»، فلَبِثوا قليلًا، ثُمَّ نهضوا في قتال العدو، فأُتِيَ به النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلم - يُحْمَل وقد أصابَه سهمٌ حيثُ أشار، فقال النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلم -: «أهوَ هو؟ »قالوا: نَعَمْ، قال: « صَدَق الله فصَدَقَه». ثُمَّ كفَّنه النبي ﷺ ، في جُبَّته، ثم صَلَّى عليه، فكان مما سُمِع من كلامه: « اللَّهم هذا عبدُك خَرَج مهاجرًا في سبيلك فقُتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك». أخرجه (س).[1]

الشرح:

قوله: «أهاجر معك»، أي: أسافر، و(كان) هي التامَّة في قوله: «فلما كانت غزوة». الظَّهْر: الرِّكاب وهي الإبل التي يُسار عليها. قوله: «يَصْدُقك»، أي: يُحقِّق ما

(١) جامع الأصول: حديث رقم (١٠٧٠)، وهو في سنن النسائي برقم (١٩٥٣)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص(٨١).

أَخبرتَ به ونويتَه، وإنَّما سُمِّي المقتول في سبيل الله: شهيدًا، لأنَّ روحه حَضَرتِ الجَنَّة، حين فارقتْ بدنَه، كما نطَق به الكتاب والسنة، ورُوح غيره لا تحضر الجنة إلى يوم القيامة، وقيل سُمِّي: شهيدًا، لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة، وقيل سمِّي: شهيدًا، لأنه ممن يُسْتَشهَد مع النبي - صلَّى الله عليه وسلم - يوم القيامة على الأمم الماضية، وقوله: «أنا شهيد على ذلك»، أي: شاهدٌ، فعيل بمعنى فاعل.

٢٢- الثاني والعشرون؛ في الخيانة

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبَعْنِي رجلٌ مَلَك بُضْعَ امرأة وهو يريد أن يبني بها، ولمَّا يَبنِ بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سُقوفها، ولا رجل اشترى غنمًا أو خَلِفاتٍ وهو ينتظر وِلادها، فغزا، فَدَنا من القرية صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورةٌ وأنا مأمور، اللهم احبِسها علينا، فحُبِست حتَّى فتح الله عليه، فجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطْعَمها، فقال: إن فيكم غُلُولًا، فليُبايعني من كل قبيلة رجل، فلَزِقَت يدُ رجل بيده، فقال: فيكم الغُلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها، فجاءت النار فأكلتها، فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا، ثم أحلَّ الله لنا الغنائم، رأى ضَعْفنا وعَجْزنا فأحلَّها لنا». أخرجه (خ)(م).[1]

الشرح:

البُضع بضم الباء: النكاح، عن ابن السكِّيت، وقال غيره: هو اسم من المباضعة، وهي المجامعة، وقد كُني به عن الفرج في قولهم: ملك فلان بُضع فلانة إذا تزوجها، ومنه قوله - صلَّى الله عليه وسلم - : «تستأمر النساء في أبضاعهن»، قال الجوهري: بني على امرأته بناءً، أي: رفعها، قال: والعامة تقول: بنى بأهله، وهو خطأ، وقال غيره: بنى على امرأته، إذا دخل بها، وأصله أن المعْرِس كان يبني على أهله ليلة الزفاف خباءً جديدًا، أو يُبنى له، ثم كَثُر حتَّى كُنى به عن الوطء وعن ابن دُريد: بنى بامرأته بالباء: كأعْرَس بها، نقله الغرري ويؤيده لفظ الحديث الخلفاتُ: الحوامل من النوق، الواحدة خَلِفة، الولاد: مصدر كالولادة، فلم تطعمها، أي فلم

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (١٢١٠)، والبخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

تذقها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾، [البقرة:٢٤٩] الغلول: الخيانة في الغنيمة خاصة، وإنَّما قال لهم نبيهم: لا يتبعني أحد هؤلاء لأن قلوبهم مشغولة بما وراءهم، فلا يحصل لهم الإخلاص في التوجه إلى الجهاد.

٢٣- الحديث الثالث والعشرون، في فضل الشهداء

عن ابن عباس ﷺ، قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - لأصحابه: «إنه لما أصيب إخوانكم بأُحُدٍ، جعل الله أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا أطيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلِّغ إخواننا عنا إننا أحياء في الجنة، لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. [آل عمران: ١٦٩] أخرجه (د).(١)

الشرح:

أُصيبوا: أي قُتِلوا، أُحُد: جبل بالمدينة، ويجوز تركُ صرفه تأوي: تنضمُّ المقيل: موضع القيلولة، وهو كناية عن موضع الراحة، واللذة والنعيم، لأن الجنة لا نوم فيها ولا حر يحوج إلى القيلولة، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾، [الفرقان:٢٤] زهد في الشيء، وعن الشيء، زهدًا، وزهادةً: إذا رغب عنه، ولم يُرِده، ومن فرَّق بين زهد فيه، وعنه، فقد أخطأ. نكل عن العدو وعن اليمين ينكُل بالضم، أي: جَبُن.

٢٤- الحديث الرابع والعشرون، في عدد الشهداء

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «ما تعدون الشهيدَ فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من قُتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: إن شهداء أمتي إذن لقليل، قالوا: فمنْ هُم يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٧٢١١)، وهو في سنن أبي داود برقم (٢٥٢٠)، وحسنه الألباني في تخريج المشكاة (٣٧٧٦).

البطن فهو شهيد، والغريق شهيد». أخرجه (م).[١] وفي رواية (ط)(ت) (وصاحب الهدم شهيد).[٢]

الشرح:

الطاعون: الوباء الذي يحدث منه الموت. قوله: ومن مات في البطن، أي: ومن مات في مرض البطن، ويؤيده قوله - صلَّى الله عليه وسلم - ، في حديث آخر: والمبطون شهيد، والمبطون هوالعليلُ البطنِ، وصاحب الهدم: هو الذي يقع عليه سقف أو حائط، أو نحو ذلك، فيموت تحته.

٢٥- الحديث الخامس والعشرون؛ في النهي عن التنازع في القدر

عن أبي هريرة ﷺ، قال: خرج رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتَّى كأنمَّا فُقِئَ في وجهه حَبُّ الرُّمان، حُمْرَةً من الغضب، وقال: أبهذا أُمِرتُم؟ أم بهذا أرسلتُ إليكم؟ إنَّما أَهلك من كان قبلكم كَثرةُ التنازع في أمر دينهم، واختلافهم على أنبيائهم. وفي رواية: إنَّما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه. أخرجه (ت).[٣]

الشرح:

المراد بالتنازع في القدر: الاختلاف في أن كل أمر حادث؛ هل هو بقضاء وقدر سابق أم لا؟ وقوله: حتَّى كأنَّما فقئ في وجهه حَبُّ الرمان، مبالغة في احمراره وعبوسه. قوله: واختلافهم على أنبيائهم، أي: واختلافهم فيما جاءهم به أنبياؤهم، وقوله: في هذا الأمر، أي: في القدر. عزمت عليكم، أي: أقسمت. والتكرار للتأكيد.

---

(١) في الموطأ برقم (٣١٦)، طبعه سليم الهلالي، وفي سنن الترمذي برقم (١٠٦٣)، ولفظه (الشهداء خمسة في سبيل الله: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله)، وهو حديث متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري بالأرقام (٦٥٣ و٧٢٠ و٢٨٢٩ و٥٧٣٣)، ومسلم برقم (١٩١٤).

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٧٠٨٠)، رواه مسلم برقم (١٩١٥).

(٣) جامع الأصول: حديث رقم (١٢٦٠)، وهو في سنن الترمذي برقم (٢١٣٣) وحسنه الألباني، تخريج المشكاة (٩٥).

٢٦- الحديث السادس والعشرون ؛ في بيان حق الحياء

عن ابن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «استحيوا من الله حق الحياء». قلنا: إنا لنستحيي من الله، يا رسول الله، والحمد لله، قال: ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء؛ أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء. أخرجه (ت).[١]

الشرح:

قوله: ليس ذلك، أي: ليس حياؤكم حق الحياء. قوله: أن تحفظ الرأس وما وعى، المراد بحفظ الرأس: حفظه عن المعاصي التي تفعل به، والمراد بما وعى: ما حفظه الرأس من الأعضاء؛ كالسمع والبصر واللسان، والمراد بحفظ البطن: صيانته عن الحرام والشبهة، والمراد بما حوى: الطعام والشراب. وخلاصة الحديث؛ الحث على استعمال هذه الجوارح فيما يرضي الله تعالى، والحث على تناول الحلال من الرزق.

٢٧- السابع والعشرون فيما يباح من الحسد

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جارٌ له، فقال: ليتني أُوتيتُ مثلَ ما أوتي فلا ن، فعملتُ مثلَ ما يعمل، ورجلٌ آتاه الله مالًا، فهو ينفقه في حقه، فقال رجل: ليتني أُوتيت مثلَ ما أُوتي فلانٌ، فعملت مثلَ ما يعمل. أخرجه (خ).[٢]

الشرح:

قوله: لا حسد إلا في اثنتين، أطلق الحسد، وأراد به: الغبطة، بدليل أنه فسره بالغبطة، فإن الحسد هو: أن يتمنى الإنسان زوال نعمةِ غيرِهِ إليه، وهو حرامٌ، لقوله

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (١٩٥١)، وهو في سنن الترمذي برقم (٢٤٥٨)، وحسنه الألباني، تخريج المشكاة (١٥٥).

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (١٩٦٢)، رواه البخاري رقم (٥٠٢٦)، وفيه بدل (آتاه) (علمه) وَبدل (ينفقه في حقه) (يهلكه في الحق).

تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، [النساء:٣٢] والغبطة: أن يتمنى الإنسان مثلَ نعمة غيره، من غير أن يريدَ زوالها عنه، وهو مباح، ولكنهما لما تشابها واشتركا في تمني النعمة أطلق أحدهما على الآخر مجازًا. آناء الليل والنهار: ساعاتهما، قال الأخفش واحدهما، أنىً، مثل معًا، وقيل: إنيٌ وأنوٌ بالكسر وسكون النون، مثل: نحيٍ وأقفاء: نحاء، ونضوٍ وأنضاء، وقيل أنيٌ أيضًا مثل: قفًا واقفاء، فمعنى الحديث: لا غبطة محمودة إلا في هاتين الخصلتين، ورجل بالرفع: خبر مبتدأ محذوف، تقديره: مغبوطهما رجل ورجل، أو صاحبهما رجل ورجل، أو تقديره: وهما خصلة رجل وخصلة رجل، فحذف المضاف وهو الجملة، وأقيم المضاف إليه وهو الرجل مقامها، وأعرب بإعرابها.

٢٨- الحديث الثامن والعشرون، في الحرص

عن ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: «لو أن لابن آدم مثل وادٍ من ذهب مالًا، لأحب أن يكون إليه مثله، ولا يملأ عينَ ابنِ آدم إلا الترابُ، ويتوب الله على من تاب». قال ابن عباس ﷺ: فلا أدري أمن القرآن هو أم لا؟ وفي رواية أخرى: لو كان لابنِ آدمَ واديان من مالٍ لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ، ويتوب الله على من تاب. أخرجه (خ).[1]

الشرح:

مثل: يجوز أن يكون منصوبًا، لأنه اسم أن، ومالًا: منصوبٌ على التمييز، وهو أظهر الوجهين، ويجوز أن يكون في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: لو أن لابن آدم مالًا، مثل وادٍ من ذهب، فيكون اسم أن مالًا، ومثلَ: منصوبٌ على أنه وصْفٌ له. وقوله: إليه، أي: معه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾، [النساء:٢] وقوله: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، [الصف:١٤] ومعنى قوله: ولا يملأ عينَ ابنِ آدَم إلا الترابُ أنه لا ينقطع حرصه منه على المال، ولا حبه له إلا بالموت.

٢٩- الحديث التاسع والعشرون، في بعد ما بين السماوات

عن العباس ﷺ، قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إن بُعْدَ ما بين

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (١٩٧٠)، رواه البخاري برقم (٦٤٣٧) و(٦٤٣٦).

السماء والأرض إمّا قال: واحدة، وإما: اثنتان، وإما: ثلاث وسبعون سنة، وبعد السماء التي فوقها كذلك، وكذلك، حتَّى عددهن سبعَ سموات كذلك، ثم قال: فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله، كما بين سماء إلى سماء، وفوق ذلك ثمانية أوعالٍ بين أظلافهن وركبتهن ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهن العرش، بين أسفله وأعلاه مثلُ ما بين السماء إلى السماء، والله ﷻ فوق ذلك. أخرجه (د)(ت).[١]

الشرح:

الأوعال: تيوس الجبال واحدها وعل، والأظلاف جمع ظِلف، وهو ظفر البقر والغنم والظباء والأوعال، وخلق مثل هذه الأوعال في قدرة الله تعالى ﷻ، كخلق ذرة صغيرة، لا فرق بينهما، والله على كل شيء قدير، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، [المدثر:٣١] وما يعلم جنود ربك إلا هو، وقد جاء أيضًا في الحديث الصحيح، عن جابر ﷺ، قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «أذُن لي أن أُحدث عن ملك من ملائكة الله، من حَمَلة العرش؛ أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام. أخرجه (د).[٢]

وقد جاء في حديث آخر عن أبي هريرة أخرجه (ت) أنه - صلَّى الله عليه وسلم - قال: بُعْد ما بين الأرض والسماء خمسمئة عام،[٣] ولذا بُعْد ما بين كل سماء وسماء، من السماوات السبع، وهذا يخالف الحديث الأوَّل، فلا بد من التوفيق بينهما.

٣٠- الحديث الثلاثون، في جحود آدم ما وعد به

قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عَطَس، فقال: الحمد لله بإذنه، فقال الله ربه: يرحمك الله يا آدم، اذهبْ إلى أولئك

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (١٩٩٤)، وهو في سنن أبي داود برقم (٤٧٢٣)، وَسنن الترمذي برقم (٣٣٢٠)، وضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة (١٢٤٧).

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (١٩٩٣)، وهو في سنن أبي داود برقم (٤٧٢٧)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٥١).

(٣) سنن الترمذي رقم (٣٢٩٨) ضمن حديث طويل، وضعفه الألباني، تخريج المشكاة (٥٦٦٧)، وظلال الجنة (٥٧٨).

الملائكة، إلى ملأ منهم جلوس، فقل: السلام عليكم، فذهب فسلّم، فقالوا: عليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، فقال له الله ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت؟ قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال: أي رب ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه، وإذا فيهم رجلٌ أضوؤهم، أو من أضوئهم قال: رب من هذا؟ قال: ابنك داود وقد كتبت له عمرًا أربعين سنة، قال: يا رب زد في عمره، قال: ذلك الذي كتبت له، قال: أي رب؛ فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة، قال: أنت وذاك، قال: ثم سكن الجنة ما شاء الله، ثم اهبط منها، وكان آدم يَعُد لنفسه، فآتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد عجلت، قد كُتِبَ لي ألف سنة، قال: بلى ولكنك جعلتَ لابنك داود ستين سنة، فجحد، فجحدت ذريته، ونسي، فنسيت ذريته، قال: فمن يومئذٍ أُمِر بالكتابِ والشهود. أخرجه (ت).[1]

الشرح:

الملأ من البشر والملائكة: أشرافهم ورؤساؤهم واشتقاقه من ملأتُ الشيءَ، لأنهم يملون العين والقلب، وقيل: من الملاءة، لأنهم ملاء بالرأي والغناء، والمراد باليد وقبضها وكونها يمينًا: معنى بجامع التنزيه والبراءة عن الجسمية[2]، والله تعالى أعلم به، والإيمان به واجب بالمعنى الذي أراده، وكذا كل ما أشبه ذلك من ألفاظ القرآن المجيد، وأحاديث الرسول - صلَّى الله عليه وسلم -: هذا مذهب السلف الأتقياء الأبرار، وعندما روى أن رجلًا سأل مالك بن أنس ﷺ عن الاستواء على العرش؟ فقال: "الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".[3] فإن قيل: قول آدم عليه السلام، أي: يا رب ما هؤلاء؟ إشارة إلى نفسه وذريته، لاشتمال اليمين المبسوطة على الكل، فكيف أجيب ببيان الذرية فقط؟ قلنا:

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٢٠٠٨)، وهو في سنن الترمذي برقم (٣٣٦٨)، وصححه الألباني، تخريج المشكاة (٤٥٨٥).

(٢) البراءة من الجسمية والتنزيه عنها لا يوجب نفي الصفات الثابتة، بل الواجب الإيمان بها من غير تشبيه ولاتعطيل ولا تمثيل.

(٣) كلمة الإمام مالك قاعدة ذهبية، والمؤلف - غفر الله له - لم يلتزم بها حقَّ الالتزام.

لأنه عرف نفسه بسبب وجوده على تلك القضية، ولم يعرف ذريته، فكانت إشارته في السؤال إلى ذريته فقط، فأُجيبَ بما يطابق سؤاله. قوله: يَعُدُّ لنفسه، أي: بعد ما مضى من عمره، وما بقي منه، فإن قيل: فلمّا جحد آدم عليه السلام، أبقاه الله حتَّى أكمل ألف سنة، وقبض روح داود عليه السلام لتمام أربعين سنة، أو قبض روحه وأبقى الستين لداود عليه السلام، قلنا: قيل إنه قبض روحه، وأبقى الستين لداود عليه السلام. قوله - صلَّى الله عليه وسلم -: فجحدَ فجحدتْ ذريته، يعني: أن الجحود في ذريته طبيعة، وخلق موروث عنه، وسار إليهم منه، وكذا النسيان، والمراد بالنسيان هنا: الترك، لا ضد الذِّكر، لأن مثل هذه القضية بعيد ألّا تُذكر فمعناه وتَرَكَ الوفاءَ بما وعد، فتركت ذريته.

٣١- الحديث الحادي والثلاثون في النهي عن مخالطة الأمراء الظلمة مع مداهنتهم

عن كعب بن عجرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس مني، ولست منه، وليس بوارد على الحوض، ومن لم يدخل عليهم، أو دخل عليهم ولم يُعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني، وأنا منه، وهو وارد على الحوض، يا كعبَ بن عجرٍ الصلاة برهان، والصوم جنة حصينة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، يا كعبَ بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحتٍ إلا كانت النار أولى به. أخرجه (ت).[1]

الشرح:

قوله: فصدقهم بكذبهم، أي في كذبهم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾، [المزمل:١٨]. قوله: فليس مني قد فسرناه في الحديث التاسع، قوله: وليس بوارد على الحوض: كناية عن عدم شربه منه، قوله: الصلاة برهان، أي: حجة ودليل على قوة إيمان فاعلها وخشوعه، ويقينه بالمعاد، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾، قوله: والصوم جنة، أي: سترة واقية للعبد من المعاصي، وإنَّما كان كذلك لأنه يكسر الشهوات، ويضعف النفس الأمارة بالسوء، ويضيّق مجاري الشيطان فيكون سترة

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٢٠٦١)، وهو في سنن الترمذي برقم (٦١٤)، وبرقم (٢٢٥٩) مختصرًا، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٢٤٣).

واقيةً شر هذه الأشياء، قوله: حصينة، أي: محمية محرزة. لا يربو أي لا يزيد ولا ينمي السحت: بسكون الحاء وضمها: الحرام وإنَّما سمى سحتًا لأنه يسحت البركة، أي يذهب بها، يقال: سحته وأسحته، أي: أهلكه واستأصله، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾، [طه:٦١] بفتح الياء وضمها.

٣٢- الحديث الثاني والثلاثون في فضل الذكر وشرفه

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إن لله ملائكة يطوفون الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم فيُحِفُّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم ـ وهو أعلم بهم ـ ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: كيف لو رأوني؟! فيقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا، فيقول: فما يسألون؟ فيقولون: يسألونك الجنةَ، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا ربِّ ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟! فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبةً، فيقول: ومم يتعوذون؟ فيقولون: يتعوذون من النار، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟! فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافةً، فيقول: أُشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنَّما جاء لحاجةٍ، فيقول: هم الجلساء لا يشقى جليسهم». أخرجه (خ). هكذا وأخرجه (م).[1] بلفظ قريب من هذا، وفيه قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وآجرتهم مما استجاروا، فيقولون: ربنا فيهم فلان عبد خطَّاء إنَّما مرَّ فجلس معهم، فيقول: وله غفرتُ، هم القوم لا يشقى جليسهم.

الشرح:

يلتمسون أي: يطلبون، هلموا، أي، تعالوا أو أقبلوا، وقوله: هلموا بضمير الجمع على لغة بني تميم، فأما أهل الحجاز فإنهم يقولون: هلم بلفظ الواحد المذكور في كل حالٍ وبه ورد القرآن المجيد، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، [الأحزاب،١٨]، قوله: فيحفونهم بأجنحتهم، أي: يجعلون أجنحتهم مطيفة بهم من

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٢٥٥٦)، رواه البخاري رقم (٦٤٠٨)، ومسلم رقم (٢٦٨٩).

كل جانب ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف:٣٢]، وقوله: إلى السماء الدنيا يعني طوائف بعضها فوق بعض، التمجيد: التعظيم وقيل: النسبة إلى المجد وهو الكرم، الجلساء: جميع جليس وهو المجالس، وقوله: هم الجلساء لا يشقى جليسهم أي: هم الجلساء الذين ..... فحذف الذين تخفيفًا، وكذا قوله: هم القوم.

٣٣- الحديث الثالث والثلاثون في معنى الذي قبله

عن أبي سعيد ﷺ قال: سئل رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: أي العباد أفضل وأرفع درجةً عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا، قيل: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه حتَّى ينكسر وتختضب دماً، فإن الذاكر لله أفضل منه درجة. أخرجه (ت).[١]

الشرح:

درجةً نُصِبَ على التمييز في الموضعين، وكذا قوله: دماً وفاعل يختضب مضمر «عائد» على السيف.

٣٤- الحديث الرابع والثلاثون في معنى اللذَين قبله

عن عمر ﷺ قال: بعث رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - قِبَل نجدٍ بعثًا، فغنموا غنائم كثيرة وأسرعوا الرجعة، فقال رجل ممن لم يخرج: ما رأينا بعثًا أسرع رجعةً ولا أفضل غنيمة من هذا البعث، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة؟ قوم شهدوا صلاة الصبح، ثم جلسوا يذكرون الله حتَّى طلعت الشمس، فأولئك أسرع رجعة، وأفضل غنيمة. أخرجه (ت).[٢]

الشرح:

البعث الجيش تسميةً بالمصدر، وفَعْل: بمعنى مفعولٍ لأنه مبعوث وجمعه بعوث.

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٢٥٦٥)، وهو في سنن الترمذي (٣٣٧٦)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٢٥٧٠)، وهو في سنن الترمذي (٣٥٦١)، وقد ضعفه هو نفسه، وكذلك ضعفه الألباني في الصحيحة تحت حديث (٢٥٣١)، وفي ضعيف الترمذي.

٣٥- الحديث الخامس والثلاثون في قرب الله ﷻ من عبده المقبل عليه

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرّب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرّب إلي ذراعًا اقتربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً». أخرجه (خ)(م)(ت).[١] وزاد (م)[٢] في رواية أخرى عن أبي ذرٍ: ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا، لقيته بمثلها مغفرةً.

الشرح:

تفسير الملأ سبق في الحديث الثلاثين. الباع: قدر مد اليدين، والتقرب والاقتراب كلاهما بمعنى واحد، وهو القرب. الهرولة: بين المشي والعَدْو. وهرولة منصوب على الحال، أي: أتيته مهرولًا، ومعناه: أسرعت إليه بالإجابة[٣]. قراب الأرض بكسر القاف ما يقارب ملأها. والضمير في مثلها راجع إلى الخطيئة.

٣٦- الحديث السادس والثلاثون في فضل الفرائض والنوافل

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بحربٍ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ إلي من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتَّى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، وإن استعاذ بي أعذته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته». أخرجه (خ).[٤]

الشرح:

الولي فيه وجهان: أحدهما أنه فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقتول

---

(١) البخاري (٧٤٠٥)، مسلم (٢٦٧٥)، الترمذي (٣٦٠٣).

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٢٥٦٥)، مسلم (٢٦٨٧).

(٣) هذا تأويل مردود ، وصفات الله تعالى نؤمن بها على حقيقتها في لسان العرب غير أن كيفيتها مجهولة لنا، وهي التي نكل علمها إلى الله تعالى.

(٤) جامع الأصول: حديث رقم (٧٢٨٢)، البخاري (٦٥٠٢).

ومجروح، فعلى هذا هو من يتولى اللهُ تعالى رعايته وحفظه، فلا يكله إلى نفسه لحظةً كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦]، والوجه الثاني: أنه فعيل مبالغة من فاعل كرحيم وعليم بمعنى: راحم، فعلى هذا: المؤمن يتولى عبادةَ الله تعالى وطاعته، فيأتي بها على التوالي من غير أن يتخللها عصيان أو فتور. قوله: آذنته أي: أعلمته، ومنه: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٩]. وباقي الحديث سبق الكلام في مثله في الحديث الثلاثين والمساءة مصدر ساءه ضد سرّه.

٣٧- الحديث السابع والثلاثون في اختلاف الملائكة في أفضل الأعمال

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: أتاني الليلة آتٍ من ربي، وفي رواية أخرى: أتاني ربي في أحسن صورة، فقال لي: يا محمد، قلت: لبيك ربي وسعديك، قال: هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أعلم، فوضع يده بين كتفي حتَّى وجدت بردها بين ثديي[١]، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض، ثم قال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ؟ الأعلى قلت: نعم في الدرجات والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السيرات المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال: يا محمد، قلت: لبيك وسعديك، فقال: إذا صليت قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون. قال: الدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والنَّاس نيام. أخرجه (ت).[٢]

٣٨- الحديث الثامن والثلاثون في الرياء

عن أبي هريرة ﷺ قال: حدثني رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - : أن الله إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله ، ورجل كثير المال، فيقول للقارئ: ألم

---

(١) صفة اليد لله تعالى نثبتها دون تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل.

(٢) فقدت ورقة في النسخة الأم فيها الحديث والشرح؟ وقد نقلت الحديث من نسخة قونية. جامع الأصول: حديث رقم (٧٢٩١)، سنن الترمذي (٣٢٣٣) وَ(٣٢٣٤)، وصححه الإمام الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٩).

أعلمكم ما أنزلت على رسولي؟ فيقول بلى يا رب، فيقول: ماذا عملت؟ فيقول: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملأ: يكذب، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال: فلان قارئ وقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال فيقول له: ألم أوسع عليك حتَّى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: فماذا عملت فيما آتيتك؟ فيقول: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت وتقول الملائكة: كذبتَ ويقول الله له: بل أردتَ أن يُقال: فلان جواد، فقد قيل ذلك، يؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول له: فيما قتلت؟ فيقول: أُمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتَّى قتلت، فيقول الله له: كذبتَ، ويقول له الملائكة: كذبتَ، ويقول الله: بل أردت أن يُقال: فلان جريء فقد قيل ذلك، ثم قال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة، ورُوي أنَّ معاوية بلغه هذا الحديث فقال: فقد فُعِل بهؤلاء هذا، فكيف بمن بقي من النَّاس؟! ثم بكى معاوية بكاء شديدًا حتَّى ظننا أنه هالك، فلما أفاق مسح العرق عن وجهه، وقال: صدق الله ورسوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود:١٥]، أخرجه (ت)، هذا اللفظ وأخرجه (م)(س) بمعناه.[١]

الشرح:

قوله: ينزل إلى العباد أي ينزل إليهم عدله وحكمه[٢]. الجاثية: تأنيث الجاثي وهو البارك على ركبتيه، الذي لا يستطيع القيام مما هو فيه. فأول من يدعو به، أي: من يدعو به الله ﷻ. رجل جمع القرآن؛ أي: حفظه. وتفسير آناء الليل والنهار: سبق في الحديث السابع والعشرين. صلة الرحم: هي البر والإحسان إلى الأقارب بالمال والنفس. الجواد: الكثير الكرم؛ والجائد: الكريم. الجريء المقدام في الحرب وغيرها. سَعَرَ النار وسعَّرها؛ مخففًا ومشددًا: أي هيّجها وألهبها.

٣٩- الحديث التاسع والثلاثون في الرياء أيضًا

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «يكون في آخر

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٢٦٤٥)، مسلم (١٩٠٥)، سنن الترمذي (٢٣٨٢)، سنن النسائي (٣١٣٧).

(٢) نزول الله تعالى بلا كيف، وتأويله بنزول عدله ورحمته وحكمه مردود .

الزمان رجال يَخْتِلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلد الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: «بي يغترون؟ أم علي يجترئون؟ فبي حلفت: لأبعثن عليهم فتنةً تدع الحليم فيهم حيران». أخرجه (ت).[١]

الشرح:

يخِتلون الدنيا أي: يختِلون أهل الدنيا، لأن الدنيا لا يختلها أحد، بل هي تختل أكثر الخلق، يقال: خَتَله إذا خدعه، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، قوله: يلبسون للناس جلود الضأن من اللين؛ يعني: يحسِّنون ظاهرهم، ويزينونه بالتملق والمداهنة. يغترون أي: ينخدعون. يجترئون؛ أي: يقدمون ويتجاسرون. فتنة: أي مصيبةً، الحليم: العاقل، والحيران والحائر: هو الذي لا يهتدي لمخرج مما وقع فيه، فهو يدور ثم يعود إلى مكانه.

٤٠- الحديث الأربعون في الدين يقولون ما لا يفعلون

عن أسامة ﷺ قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان؟ ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه». أخرجه (ج)(م)، وزاد (م) في رواية أخرى: وسمعته يقول: مررت ليلة أُسري بي بأقوام تُقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون.[٢]

الشرح:

فتندلق أي: تخرج، والأقتاب: الأمعاء واحدها قِتب بكسر القاف وقيل قتبة.

٤١- الحديث الواحد الأربعون في بيان حقيقة الزهد

عن أبي ذر ﷺ قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -يقول: «ليست

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٢٦٥٠)، سنن الترمذي (٢٤٠٤)، وقال الإمام الألباني في ضعيف سنن الترمذي، وفي تخريج المشكاة (٥٢٥٢)، ضعيف جدًا.

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٢٦٥٤)، صحيح البخاري (٣٢٦٧) وَ(٧٠٩٨) ، صحيح مسلم (٢٩٨٩).

الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهد أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أُصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك». أخرجه (ت).[١]

الشرح:

الزهادة: سبق شرحها في الحديث الثالث والعشرين، وقوله بتحريم الحلال؛ أي: مثل الامتناع عن أكل اللحم، أو النوم على الفراش، أو التزوج، ونحو ذلك، ولا إضاعة المال بإنفاقه كله في الصدقة مع الحاجة إليه، قوله: ولكن الزهد يجوز فيه من جهة العربية: تخفيف النون وتشديدها وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٧]، الضمير في قوله: لو أنها راجع إلى النعمة الفانية بإصابة المصيبة المدلول عليها بذكر المصيبة.

٤٢- الحديث الثاني والأربعون

لعائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إن كنت تريدين الإسراع واللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب، وإياك ومجالسة الأغنياء، ولا تستخلقي ثوبًا حتَّى ترقعيه». أخرجه (ت).[٢]

الشرح:

أراد بالإسراع: الإسراعَ في السير إلى الله تعالى، أو في سلوك طريق الآخرة، أو في المرور على الصراط، وقوله: واللحوق بي أي في الخُلُق، أو في الدرجة، ولم أجد اللحوق بمعنى اللحاق في أصول اللغة بل في لفظ الحديث، وكفى به حجة، وقوله: كزاد الراكب، أي: فليكفك منها القليل، وإنَّما نهى عن مجالسة الأغنياء لأن مجالستهم تقتضي النظر إلى زهرة الحياة الدنيا وزخرفها وزينتها، وذلك بفتح باب

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٢٧٧٠)، سنن الترمذي (٢٣٤٠)، وقال الإمام الألباني: ضعيف جدًا، وقال في تخريج المشكاة (٥٢٣١)، وقد أخرجه الإمام أحمد في الزهد (١٨) من قول أبي مسلم الخولاني وهو الأشبه.

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٢٧٧١)، سنن الترمذي (١٧٨٠)، وقال الإمام الألباني في ضعيف سنن الترمذي: ضعيف جدًا. انظر: تخريج أحاديث المشكاة (٤٢٧١).

الحرص والطمع، ويشوش الخاطر، ويشغل عن الذكر والفكر، ويولد حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، ولهذا قال علي ﷺ: لا تنظروا إلى نعم أبناء الدنيا، فإن النظر يكدر صفاء قلوبكم، ويذهب رقتها، وقال تعالى لنبيه - صلَّى الله عليه وسلم : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١]، وقوله: ولا تستخلفي ثوبا أي: لا تجعلي له خلقًا أي: بدلًا، ولم أجد الاستخلاف في أصول اللغة بهذا المعنى، بل لفظ الحديث وكفى به حجة.

٤٣- الحديث الثالث والأربعون في النهي عن مساوئ الأخلاق

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسَّسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم، المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وعرضه وماله، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم». وفي رواية أخرى: ولا تناجشوا ولا تقاطعوا ولا تَهاجروا، إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. أخرجه (م) بهذا اللفظ وأخرجه (خ)(ط)(د)(ت) بألفاظ مختلفة تقاربه في المعنى، وفي رواية (ت) ولا يخونه ولا يكذبه.[1]

الشرح:

قوله: إياكم والظن أي: احذروه واجتنبوه، ثم قيل: إنّ المراد بالظن: الشك الذي يعرض للإنسان في الشيء فيحققه، ويعمل بمقتضاه، وقيل: المراد: إياكم وسوء الظن وتحقيقه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، ولا يدخل في النهي منادي الظنون التي لا تُملَك وخواطر القلوب التي لا تُدفع، وإنَّما أطلق على الظن لفظ الحديث لأنه حديث النفس، قوله: ولا تحسسوا أو لا تجسسوا: أي لا تبحثوا عن الأخبار والأحوال، ولا تتفحصوا عنها،

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٤٧٣١)، صحيح البخاري (٥١٤٣) وَ(٦٠٦٤) وَ(٦٠٦٦) وَ(٦٧٢٤)، صحيح مسلم (٢٥٦٣)، سنن أبي داود (٤٩١٧)، سنن الترمذي (١٩٨٨)، الموطأ (١٧٩٦) طبعه سليم الهلالي.

يقال: جس الأخبار، ومنه الجاسوس وتجسسها أيضًا، وقيل: معناه: خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله ﷻ ثم قيل بهما بمعنى واحد، وهما تَفَعَّل من الإحساس وهو المعرفة، أو من الجس وهو الطلب، ومنه قيل لمشاعر الإنسان: الحواس والجواس وتكرارهما للتأكيد كقولهم: بعدًا له وسحقًا، وقيل التحسن بالحاء: التسمع لحديث النَّاس وبالجيم: البحث عن عوراتهم، وقيل التحسس بالحاء البحث والفحص لنفسه، وبالجيم لغيره وإلا ظهر أنهما سواء وقرئ بالحاء والجيم، قوله تعالى: ﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف:٨٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾، التنافس الرغبة في الشيء على وجه المباراة في الكرم. والتدابر: التقاطع والتهاجر، وأصله أن يؤتي كل واحد منهما أخاه دبره أي: ظهره، إعراضًا عن قوله. كما أمركم أراد به قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، خذله: ترك نصرته وأعانته، حقره: استصغره التقوى سبق شرحها في الحديث السادس، بحسب امرئ: أي كفاه، والباء زائدة، قوله: على كل المسلم: أي على جميع أعضائه وجوارحه، فلا يحل له إيذاؤه بشيء منها. التناجش: أن يزيد كل واحد منهما في ثمن السلعة، وهو لا يريد شراءها بل يريد ترغيب صاحبه، كذبه: أي قال له الكذب كما يقال: صدقة أي قال له الصدق.

٤٤- الحديث الرابع والأربعون في فضل المتحابين في الله ﷻ

عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة، بمكانهم من الله» قالوا: يا رسول الله تخبرنا مَنْ هم، قال: هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف النَّاس، ولا يحزنون إذا حزن، النَّاس وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. أخرجه (د).[1]

الشرح:

الأناس: لغة في النَّاس، وهو الأصل مخفّف، قال الشاعر:

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٤٧٨١)، سنن أبي داود (٣٥٢٧)، وقد صححه الإمام الألباني في صحيح سنن أبي داود.

إن المنايـــــا يطلعنـــــه على الأنـاس الأنبيـاء

الغبطة: سبق تفسيرها في الحديث السابع والعشرين. وبمكانهم من الله: أي بقربهم منه، والباء المسببة أي: بسبب قربهم منه، ويجوز أن تكون بمعنى اللام كما في قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان:٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [البقرة:٥٠]، في أحد الأوجه، إنَّما قالوا: تخبرنا من هم بلفظ الخبر، لا بلفظ الأمر، حفظًا للأدب. التحاب: تفاعل من الحب، بروح الله، أي: برحمته، ومنه قوله: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٧]، الأرحام: القرابات. والمراد: أنهم تحابوا لله تعالى خالصًا لا لسبب آخر قوله: إن وجوههم لنور، أي: مشرقة مضيئة إضاءة النور، قوله: وإنهم لعلى نور، أي: وإنهم مستقرون على النور ثابتون عليه، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [لقمان:٥]، قوله: إذا خاف النَّاس: يعني يوم القيامة، لما يرون من لطف الله تعالى بهم.

٤٥- الحديث الخامس والأربعون في فضل الإحسان والعلم وقراءة القرآن مع الجماعة في المسجد

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «من نفّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بَطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه». أخرجه (م)(ت).[1]

الشرح:

قوله: من نفَّس عن مؤمن كربة؛ أي: كشفها وفرّجها، والكربة الغم الذي يأخذ بالنفس، والتيسير على المعسر: التسهيل عليه بإنظاره إن كان مديونًا، أو بإبرائه من الدين، أو بالتصدق عليه، وما أشبه ذلك، قوله: ومن ستر مسلمًا: يحتمل الستر

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٤٧٩٣)، صحيح مسلم (٢٦٩٩)، سنن الترمذي (٢٩٤٥).

صورة بالكسوة، والستر معناه: إخفاء الذلة. العون: اسم من الإعانةُ يلتمس، أي: يُطلبُ التدارس: درس القوم بعضهم مع بعض، أي: قراءتهم، قوله: إلا نزلت عليهم السكينة؛ أي: الطمأنينة، وثلج اليقين، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:١٨]، قوله: وغشيتهم الرحمة: أي جاءتهم وعظتهم، وقوله: وحفتهم الملائكة أي أطافت بهم أجنحتها لأن حفَّ إذا كان متعديًا كان له مفعولان ثانيهما بالباء قال الله تعالى: ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾[الكهف:٣٢]، وقد يكون (حفَّ) لازمًا، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر:٧٥]، أي: محدقين به، قوله: فيمن عنده، أي: في الملا الأعلى. من بَطَّأَ به عمله، أي: أخّره كسلُه وتوانيه في الطاعات عن بلوغ الدرجات، أو آخره سوء عمله، لم يوصله إليها نسبه وإن كان شريفًا، وهذا مطابق في المعنى لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

٤٦- الحديث السادس والأربعون في فضل الصدقة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابةٍ: اسق حديقة فلان: فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءَه في حرةٍ فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعب ذلك الماء كله، فتتبع الماءَ فإذا رجلٌ قائم في حديقة يحوّل الماء بمسحاته، فقال له: يا عبدالله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة فقال له: يا عبدالله لم سألتني عن اسمي؟ قال: سمعت في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسقِ حديقة فلان لاسمك، فما تضع فيها؟ قال: انظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأردّ فيها ثلثه»، وفي رواية أخرى: واجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل. أخرجه (م).[1]

الشرح:

الفلاة: المفازة الحديقة الروضة ذات الشجر، وقيل كل بستان عليه حائط فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة، الَحرة: أرض ذات حجارة سودٍ نخرة كأنها أُحرقت

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٧٢٥١)، صحيح مسلم (٢٩٨٤).

بالنار، الشَّرج والشرجة: مسيل الماء من الحرة إلى السهل والجمع شراج وشروج، استوعب: أي عمّ وشمل، والرواية استوعب بالباء فقط فيجوز أن يكون الماء، مرفوعًا بأنه فاعل الاستيعاب، وضمير المفعول محذوف تقديره قد استوعبها، وهذا هو الأغلب أن يقال عمّ الماء الأرض، لا عمت الأرض الماء، إلا أن يتناول بِعمته شربًا ونحوه، فتتبع الماء، أي الرجلُ الذي بالفلاة، ومعنى تتبع الماء: تطلبه متبعًا له المسحاة كالمجرفة، إلا أنها من حديد، ابن السبيل: المنقطع في سفره وقيل: الضيف وقيل: من يريد إنشاء السفر وهو عاجز عنه بكل ذلك فُسر قوله تعالى في آية الصدقات: ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

٤٧- الحديث السابع والأربعون في فضل العبادة والصدقة (حديث قدسي)

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني، قال: يا ربِّ كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال: أما علمتَ أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمتَ لو أنك عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمتَ أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي. أخرجه (م).[1]

الشرح:

العيادة: زيارة المريض قوله - صلَّى الله عليه وسلم -: قال: يا رب، أي: فيقول: يا رب فوضع الماضي في موضع المضارع؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٦]، قوله ﷻ: لوجدتني عنده، أي: لوجدتَ رحمتي ومغفرتي عنده، استطعمه: سأله أن يطعمه، قوله ﷻ: لوجدت ذلك عندي[2]، أي: لوجدت جزاءه وثوابه عندي، استسقاه: سأله أن يسقيه، وقوله ﷻ في عيادة المريض:

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٧٣٢٩)، صحيح مسلم (٢٥٦٩).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لوجدْتَ المثال العلمي في قلبه). انظر: الجواب الصحيح (٣٣٣/٣).

لوجدتني عنده، يدل على أن العبادة أفضل من إطعام الجائع، وسقي العطشان، لأنه قال: فيهما وجدت ذلك، وقوله في طعام: لوجدت ذلك عندي بلام التأكيد، وفي السقي: وجدت ذلك عندي بغير لام يدل على أن الإطعام أفضل من السقي، ونظيرهما قوله تعالى في المأكول: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾، باللام، وقوله في المشروب: ﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾، بغير اللام.

٤٨- الحديث الثامن والأربعون في فضل إخفاء الصدقة

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: لما خلق الله الأرض جعلت تميد وتكفأ فأرسى بها الجبال فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال، فقالتْ: يا ربنا هل خلقت خلقًا أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. قالوا: فهل خلقتَ خلقًا أشدَّ من الحديد؟ قال: النار، قالوا: فهل خلقت خلقًا أشد من النار؟ قال: الماء، قالوا: فهل خلقت خلقًا أشد من الماء؟ قال: الريح، قالوا: فهل خلقت خلقًا أشد من الريح؟ قال ابن آدم إذا تصدق بصدقة بيمينه فأخفاها عن شماله. أخرجه (ت).[1]

الشرح:

تميد: أي تتحرك وتميل، وقوله: تَكَفَّأ أُصله تَتَكَفَّأ بتائين فحذف إحداهما تخفيفًا ومعنى التكفُّؤ: التمايل يمينًا وشمالًا يقال منه: تكفأت المرأة على مشيتها، أي: مارت ومالت، كما تتحرك النخلة الطويلة. فأرساها بالجبال، أي أثبتها بها.

٤٩- الحديث التاسع والأربعون في وقوع الصدقة في غير محلها ظاهرًا

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: قال رجل لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون تُصُدِّق الليلةَ على سارق فقال: اللهم لك الحمد؛ على سارق لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّقَ الليلة على زانية، قال: اللهمّ لك الحمد؛ على زانية!! لأتصدقنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته، فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّقَ على غني، قال: اللهم لك الحمد؛ على سارق!

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٤٦٤٦)، لم يخرجه مسلم، سنن الترمذي (٣٣٦٩)، وقد ضعفه الإمام الألباني في تخريج المشكاة (١٨٦٥).

وزانية! وغني! فأُتي[١] فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعفف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله. أخرجه (خ)(م)(س).[٢] واللفظ للبخاري وزاد: فأتي فقيل له: أما صدقتك فقد تُقُبِّلَت ، الحديث.

الشرح:

قوله: فأتي أي: في المنام، قوله: أن يستعف أي يَعَفَّ. قوله: يعتبر أي: يستدل بالتصدق عليه، على فضل الصدقة ويتنبه للمبادرة إليها.

٥٠- الحديث الخمسون في بيان حق المسلم على المسلم

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس». أخرجه (خ)(م)(د).[٣] وقال (م) في رواية أخرى: ست، وزاد وإذا استنصحك فانصح له. أخرجه (ت)(س) بلفظ يقارب الرواية الثانية.[٤]

الشرح:

قوله: خَمْسٌ، أي: خمسة أشياء وقد سبق تمام الكلام فيه في الحديث الخامس عشر، تشميت: بالسين والشين؛ أن تقول له: يرحمك الله، قال ثعلب: الاختيار بالسين، وقال أبو عبيد: الشين أعلى في كلامهم وأكثر.

٥١- الحديث الحادي والخمسون في الجليس الصالح وضده

عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إنَّما مثل الجليس الصالح وجليس السوء؛ كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك؛ إما

---

(١) أي أُخبر في المنام.

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٤٦٦٤)، صحيح البخاري (١٤٢١)، صحيح مسلم (١٠٢٢)، سنن النسائي (٢٥٢٣).

(٣) جامع الأصول: حديث رقم (٤٧٣٣)، صحيح البخاري (١٢٤٠)، صحيح مسلم (٢١٦٢)، سنن أبي داود (٥٠٣٠).

(٤) رواه النسائي (١٩٣٨)، والترمذي (٢٧٣٧)، وقال الإمام الألباني في تخريج المشكاة (٤٥٥٤) إسناده صحيح على شرط مسلم، ولفظه (للمؤمن على المؤمن ست خصال ...) وذكرها.

أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة». أخرجه (خ)(م).[١]

الشرح:

قوله: وجليس السوء؛ كقولهم: رجل سوءٍ، ورجل السوء، ومنه قول الشاعر:

وكنت كذئب السوء لما رأى دمًا ... بصاحبه يومًا أحال على الدم

كير الحداد: منفاخه من الجلد، وأما المبنى من الطين فهو الكور، يحذيك: أي يعطيك.

٥٢- الحديث الثاني والخمسون في حبِّ الله تعالى للعبد وبغضه له

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». كذا أخرجه (خ)، وفي رواية (م) أنه - صلَّى الله عليه وسلم - قال: إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريلَ فقال: إني أحبُّ فلانًا فأحبَّه، فيحبه، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريلَ فيقول: إني أبغض فلانًا، فأبغضه، فيبغضه جبريلَ ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا، فابغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض. وأخرجه (ط) بمعنى رواية (م) وأخرجه (ت) برواية (م) وزاد في ذكر المحبة: فذاك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦].[٢]

الشرح:

قال الهروي في شرح الغريبين نقلًا عن الأزهري: محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما، واتباعه أمرهما، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ [آل عمران:٣١]،

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٤٧٦٥)، صحيح البخاري (٢١٠١) وَ(٥٥٣٤)، صحيح مسلم (٢٦٢٨).

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٤٧٨٤)، البخاري (٣٢٠٩) وَ(٦٠٤٠) وَ(٧٤٨٥)، مسلم (٦٧٠٥)، سنن الترمذي (٣١٦١)، الموطأ (١٩١٤) طبعة الهلالي.

ومحبةُ الله للعبد إنعامه عليه بالغفران[١]، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران:٣٢]، أي: لا يغفر لهم، يقال: على فلان قبول، إذا كانت النفوس تقبله وتميل إليه، وهو مصدر قَبِلتُ الشيء قبولًا، قال أبو عمرو بن العلاء لم أسمع على وزنه مصدرًا غيره، فالوَلُوع على هذا عنده اسم لا مصدر، وعند غيره هو اسم ومصدر أيضًا، وحكى ابن الأعرابي: القُبول بضم القاف: البغضا شدة البغض.

٥٣- الحديث الثالث والخمسون في من يحبهم الله تعالى ومن يبغضهم

عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم الله؛ فرجل أتى قومًا، فسألهم بالله، ولم يسألهم لقرابة بينه وبينهم فمنعوه، فتخلف رجل بأعقابهم، فأعطاه سرًا لا يعلم بعطيته إلا الله، والذي أعطاه. وقوم ساروا ليلتهم حتَّى إذا كان النومُ أحبَّ إليهم مما يُعَدل به، فوضعوا رؤوسهم فقام يَتَمَلّقني، ويتلوا آياتي، ورجل كان في سَرِيَّة فلقي العدو فهزموا فأقبل بصدره حتَّى يُقتلَ أو يفتح له، والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظلوم». أخرجه (ت)(س).[٢]

الشرح:

قد سبق في الحديث الذي قبل هذا تفسيرُ حبِّ الله تعالى للعبد، فتخلف أي: فتأخر، يقال: خلفت فلانًا: رآنى فتخلف عني، أي: تأخر، وقوله: بأعقابهم أي بعدهم، وهو إما جمع عَقِب بكسر القاف، وهي مؤخر القدم، مثل نَمِرٍ وأنْمار وإما جمع عُقبه مثل: قفل وأقفال، من قولهم جئت في عقب شهر رمضان، إذا جئت بعدما مضى كله. قوله: مما يعدل به، أي مما يقابل به، يقال: تملقه وتملق له، معدى بنفسه وباللام تملقًا وتملاقًا، أي: تودد إليه، وتلطف له، والملق الود واللطف الشديد، السرية: قطعة من الجيش، قال خير السرايا أربعمئة رجل، قوله: فهزموا أي فهزم أهل السرية وهم أصحابه، قوله: أو يفتح له أي ينصر، ومنه قوله تعالى: ﴿إن

---

(١) هذا تأويل باطل لصفة المحبة. والإنعام بالغفران من لوازم الصفة وليست الصفة نفسها.

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٧٣١٥)، سنن الترمذي (٢٥٦٨)، سنن النسائي (١٦١٥)، وقد ضعفه الإمام الألباني سابقًا بجهالة أحد رواته ثم وجد لهذا الراوي متابعًا قويًا كما قال في تخريج المشكاة (٢/٢٩٩/١٨٦٤)، وقال: وسنده صحيح.

﴿تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال:١٩]، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، المختال: المتكبر، والظلوم: الكثير الظلم (وفعول): من أوزان المبالغة كقطوع وضروب ونحوهما.

٥٤- الحديث الرابع والخمسون في الحث على النصح والإحسان

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «الدين النصيحة» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولأئمة المسلمين،[١] والمسلم أخو المسلم؛ لا يخذله ولا يكذبه ولا يظلمه،[٢] وإن أحدكم مرآة أخيه، فإن رأى به أذىً فليمطه عنه،[٣] هذه أربعة أحاديث مختلفة وليست حديثًا واحدًا، وفي رواية أخرى: المؤمن مرآة المؤمن مفرقًا، والمؤمن أخو المؤمن؛ يكفُّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه. أخرجه (ت).[٤]

الشرح:

النصيحة: اسم من النصح، وهو ضد الغش، يقال: نصحه نصحًا ونصوحًا ونصاحةً، ونصح له، وهو باللام أفصح، قال الله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾أي صدقه، وقال غيره: نصحه أي أخلص له المودة، فالنصيحة لله ﷻ الصدق في الإيمان والإخلاص فيه والنصح لكتابه اتباعه والتمسك به، والعمل بما فيه، والنصح لأئمة المسلمين: طاعتهم والوفاء بعهودهم جهرًا وسرًا، وأئمة المسلمين، أما خلفاؤهم وأمراؤهم أو كل مُقَدَّم عليهم، فيدخل فيه القضاة والمفتون ونحوهم، لا يخذله ولا يكذبه: سبق شرحهما في الحديث الثالث والأربعين، قوله: وإن أحدكم مرآة أخيه، أي: مريه محاسنه ومساوئه ومظهرها له، قوله: فإن رأى به أذى فليمطه، أي: فليزله، والأذى يتناول كل مكروه صورةً كان كالوسخ والقذر والقمل والبراغيث، ومخالفة

---

(١) وعامتهم، وهو في سنن الترمذي (١٩٢٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٢) وهو في سنن الترمذي (١٩٢٧)، ولفظه: المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخزله، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٣) وهو في سنن الترمذي (١٩٢٩، ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الضعفية (١٨٨٩قال ضعيف جدًا.

(٤) سنن أبي داود (٤٩١٨)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٦).

المعتاد في لبس الثوب، أو في لف العمامة، ونحو ذلك، أو معنىً كمساوئ الأخلاق، وإماطة هذا النوع الثاني أهم لوجهين أحدهما: أن العلم به والوقوف عليه أشق وأخفى، لأن كل إنسان راضٍ عن نفسه وأخلاقه، ومفتون بها، ولهذا كان عمر ﷺ يقول: رحم الله امرًا أهدى إليَّ عيوبي، والثاني: أن الضرر الحاصل من النوع الثاني أعظم وأدوم ضرورة، ويبقى بعد الموت أبدًا الآباد، قوله: يكف عليه ضيعته، قال بعض أئمة الحديث: الضيعة هنا الحرفة وكفها عليه: جمعها عليه، وردها إليه، ويحوطه من ورائه، أي: يحفظه في غيبته من حيث لا يعلم؛ برد غيبته والذب عنه، والمحاماة عن عرضه، وحفظ مصالحه ومصالح عياله، وكل رعيته في مقامه وسفره.

٥٥- الحديث الخامس والخمسون في فضل رد الغيبة في الغيبة

عن جابر وأبي طلحة ﷺ، قالا: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «ما من مسلم يخذل امرءاً مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمته، ويتنقص فيه من عرضه إلا أخذ له الله في موطن يحبه فيه نصرته، وما من امرئٍ ينصر مسلمًا، في موضع يُتنقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته». أخرجه (د).[1]

الشرح:

خذله: ترك نصرته وإعانته، انتهاك الحرمة: تناولها بما لا يحل، والمراد بانتهاك حرمة المسلم هنا ذمُّه أو سبّه، يقال: فلان يتنقص فلانًا، أي: يقع فيه، ويثلبه. العرض ريحُ مدح الإنسان أو ذمّه، يقال: فلان طيب العرض، وفلان منتن العرض، وفلان نقي العرض أي: بريء له من أن يشتم أو يعاب، وطيب العرض ونتنه قد يكون لصفات الإنسان وأخلاقه خاصة، أو لصفات أسلافه وأخلاقهم خاصة، وقد يكون لهما جميعًا، وقيل عرض الإنسان: مختص به مدحًا وذمًا دون أسلافه، والعرض أيضًا النفس يقال: أكرمت عنه عرضي أي صنت عنه نفس، والموطن:

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٤٨٠٥)، وهو في سنن أبي داود (٤٨٨٤)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، وقال في تخريج المشكاة (٤/٤٣٠/٤٩١١) عن إسناد أبي داود: إسناده ضعيف ثم قال: لكن له شاهد من حديث جابر وأبي طلحة الأنصاري، ونقل تحسين الهيثمي له في مجمع الزوائد، فينظر.

المشهد من مشاهد الحرب، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة:٢٥]، هذا أصله وقد يستعمل لمطلق المكان.

٥٦- الحديث السادس والخمسون في النهي عن تتبع العورات

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: صعد رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - المنبر، فنادى بصوت رفيع: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه؛ لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيّروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله». أخرجه (ت).[1]

الشرح:

المعشر: الجماعة من النَّاس، والجمع المعاشر، ولم يُفْضِ أي: لم يصل، والإسلام والإيمان في هذا الحديث بمعنى واحد، وقد سبق الكلام على مثله في الحديث الثالث، التعيير: أن يعيب الإنسان غيره بشيء، وهو يتعدى إلى مفعولين بنفسه، يقال: عيره كذا، قال الجوهري: والعامة تقول: عيّره بكذا وقال النابغة:

وعَيّرتني بنو ذبيان رهبته ... وهل عليّ بأن أخشاك من عار

ومفعوله الثاني في الحديث محذوف تقديره ولا تعيّروهم عيوبهم، والتتبع: التطلب، يقال: تتبعت الشيء تتبعًا وتبعته تتبيعًا مثله، وقد جمع الحديث بينهما. العورات هنا: الزلات والعثرات وكل ما يُسْتَحيا من ذِكره. الرحل هنا: المسكن.

٥٧- الحديث السابع والخمسون في فضل الوضوء وذم المبدلين سنة نبيهم بعده

عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - المقبرةَ فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أوَلسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ قال: أرأيت لو أن رجلًا له خيل غرٌّ محجلة، بين ظَهْرَيْ خيلٍ دهمٍ بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٤٩٤٠)، وهو في سنن الترمذي (٢٠٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وفي تخريج المشكاة (٤٩٧١).

فَلَيُذَادَنَّ رجالٌ عن حوضي، كما يذاد البعير الضال، أُناديهم: ألا هَلُمَّ، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا. أخرجه(ط)(م).[1] واللفظ لمسلم.

الشرح:

قوله: دارَ قومٍ: أي: يا دارَ قومٍ يعني: يا أهلَ دارِ قومٍ فحذف حرف النداء والمنادى، وأقام المضاف إليه مقامه، وقوله: إن شاء الله؛ لتعليق اللحاق بهم على صفة الإيمان، لأن الخاتمة مغيَّبة، لا لتعليق نفس الموت بالمشيئة، فإنه كائن لا محالة، وددت؛ أي: تمنيت أو أحببت، الغُرّ: جمع أَغَرُّ وهو الفرس الذي له غرة؛ وهي بياض في جبهته فوق الدرهم، والفرس المحجل، هو الذي في قوائمه أو في ثلاث منها، أو في رجليه بياض؛ قلَّ أو كثر، بعد أن يجاوز الأرساغ، ولا يجاوز الركبتين والعرقوبين، بين ظهراني قوم خيل؛ أي: في وسطها بين جانبيها فالخيل الدهم محيطة بها، والدهم: جمع أدهم، وهو الفرس الأسود، والبهم بضمتين: جمع بهيم وهو الذي لا يخالط لوَنه لونٌ آخرُ بل يكون لونُه كلُّه واحدًا، أي لون كان وتسكين هاء بُهْمٍ في لفظ الحديث لضرورة الازدواج. والفرط: بفتحتين الذي يتقدم القوم إلى الماء، فيهيئ لهم آلة الاستقاء، أو يستقي لهم. الذياد: الطرد، وقوله: كما يزاد البعير الضال؛ أي: كما يطرد لرده إلى مكانه الذي ضل عنه، وتفسر (أَلاَ): سبق في الحديث الخامس. وتفسر هلّم: في الحديث الثاني والثلاثين سحقًا أي: بُعدًا لهم يعني: أسحقهم الله تعالى سحقًا، أي: أبعدهم من رحمته بعدًا وتكراره للتأكيد.

٥٨- الحديث الثامن والخمسون في فضل صلاة الضحى

عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «يصبح على كل سُلامى مِنْ أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى» أخرجه (م).[2] وفي رواية (د)[3] قال: يصبح

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٦٧٨٢)، لا يوجد في البخاري، مسلم (٢٤٩)، الموطأ (٦٢) طبعة الهلالي.

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٧١١٤)، وانظر الحديث الرابع عشر، ص(٢٥)، مسلم (١٦٧١).

(٣) أبو داود (١٢٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٨٠٩٦).

على كل سُلامي من بني آدم صدقة تسليمه على من لقي صدقة وأمره بالمعروف صدقة، ونهيه عن المنكر صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وبُضعه أهلَه صدقة، ويجزئ من ذلك كله ركعتان من الضحى، قالوا: يا رسول الله أحدنا يقضي شهوته فيكون له صدقة، قال: أرأيت لو وضعها في غير حلها ألم يكن يأثم؟ وله في رواية[1] أخرى عن بريدة قال: في الإنسان ثلاثمئة وستون مفصلًا، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة، قالوا من يطيق ذلك يا نبي الله؟ قال: النخاعة في المسجد تدفنها، والشيء تنحيه عن الطريق، فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزئه.

الشرح:

السُّلاَمَي واحدة السُّلاميات؛ وهي: مفاصل الأصابع قوله: فكل تسبيحة صدقة إلى آخره: إشارة إلى ما هو أحب الكلام إلى الله تعالى، وهو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقوله: يركعهما من الضحى؛ أي: في وقت الضحى فمن بمعنى في، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩]، الإماطة: الإزالة، والمراد بالأذى: كل ما يُتأذى به ألمًا من حجر أو قذر أو شوك أو نحو ذلك، البُضع: اسم من المباضعة وهي المجامعة، ولهذا عَمِل عَمَل المصدر فنصب الأهلَ، وقد يكنى به عن الفرج، ومنه قوله - صلَّى الله عليه وسلم - لبريرة حين أُعتقت: ملكت بُضعَك فاختاري، وقال ابن السكيت: البُضع النكاح. قوله: أرأيت، معناه: أخبرني، ومنه كل ما جاء في القرآن المجيد من قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ وأرأيتم. وقوله في غير حلها، أي: في غير موضع حلها، والحل: الحلال قوله: فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة؛ يعني: كل قومٍ شكر النعمة الله تعالى، عليه في بقائه سالمًا معافى، النخاعة والنخامة: ما يخرج من حلق الإنسان، من مخرج الخاء إذا تنخع.

٥٩- الحديث التاسع والخمسون في أصول أعمال البر

عن معاذ ﷺ قال: قلت يا رسول الله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ فقال: لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسّره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال:

---

(١) أبو داود (٥٢٤٢)، وصححه الإمام الألباني على شرط مسلم في تخريج أحاديث المشكاة (١٢٦٦).

ألا أدلك على أبواب الخير؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل شعار الصالحين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة:١٦]، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: كُفَّ عليك هذا، وأشار إلى لسانه، قلت: يا نبي الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يُكب النَّاس في النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم. أخرجه (ت).[1]

الشرح:

قوله: الصوم جُنَّة: سبق شرحه في الحديث الحادي والثلاثين، قوله: من جوف الليل؛ فمن بمعنى: في، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩]، والمراد بجوف الليل: أثناؤه وما بين طرفيه، وهو وقت غفلة النَّاس ونومهم، شعار الصالحين: علامتهم، ومنه الشعار في الحرب، وهي علامة تكون من أهلها ليعرف بها بعضهم بعضًا، ذِروة السِّنام بكسر الذال وضمها: أعلاه والسنام ما ارتفع في ظهر البعير كالقبة، والمراد به أعلى موضع في الإسلام وأشرفه، وملاك الأمر، بالكسر والفتح: ما تقوم به، ومنه قولهم: القلب ملاك الجسد، قوله: كُفَّ عليك هذا، أي: جمعه وضمه، يعني أَقِلَّ الكلام، ثكلتك أمك، أي: فقدتك، وهو دعاء يستعمل في موضع الإنكار، ولا يريد به حقيقته، كما يقال في التعجب من الشاعر أو غيره: قاتله الله، الحصائد: جمع حصيد، وهي الزرع المحصود، شبه اللسان بالمنجل وما يقطع به من الكلام بالنبات.

٦٠- الحديث الستون فيمن يظله الله بظله يوم القيامة

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: «**سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله ﷻ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتَّى يعود إليه، ورجلان تحابا في**

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٧٢٧٤)، وهو في سنن الترمذي (٢٦١٦)، وحسنه الألباني في تخريج المشكاة (٢٨).

الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تَصدَّق بصدقة فأخفاها حتَّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه. أخرجه الجماعة إلا (د).[١]

الشرح:

قوله: تحابا في الله، أي: أحبَّ كل واحدٍ منهما صاحبه لله تعالى، خالصًا، لا لسبب آخر، وقوله: اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، يعني: أنهما يدومان على ذلك في حالتي الحضور والغيبة، إنَّما قال ذات منصب وجمال ليتعدد المقتضى لإجابتها، وهو جاهها وجمالها، فإنها إذا كانت ذات جاه خاف من مخالفتها وعند تعدد المقتضى للموافقة يزداد ثواب المخالفة، إنَّما قال: خاليًا ليكون فيض عينيه خالصًا لله تعالى، بخلاف ما إذا كان عنده أحد.

٦١- الحديث الحادي والستون في الوصية عند وقوع الفتن

عن أبي ثعلبة الحسني قال: سألت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [المائدة:١٠٥]، فقال: ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر، حتَّى إذا رأيتم شحًا مطاعًا، وهوىً متبعًا ودنياه مؤثرة، وإعجابَ كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا، يعملون مثل عملكم.[٢]

الشرح:

قوله: ائتمروا بالمعروف، أي: امتثلوا الأمر بالمعروف، إذا أمرتم به، الشحّ البخل مع حرص، وقوله: مطاعًا، أي يتبع صاحبه هوى نفسه، في كل ما يدعوه إليه

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٧٣١٧)، البخاري (٦٦٠) وَ(١٤٢٣) وَ(٦٨٠٦)، مسلم (١٠٣١)، النسائي (٥٣٨٠)، الترمذي (٢٣٩١)، الموطأ (١٩١٣) طبعة الهلالي.

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٧٤٥٣)، رواه الترمذي (٣٠٥٨)، وأبو داود (٤٣٤١)، وقد ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (١٠٢٥)، وكذلك في هداية الرواة (٥٠٧٢)، وقال في ضعيف سنن أبي داود: ضعيف لكن فقرة أيام الصبر ثابتة، وقد صحح هذا الجزء من الحديث لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٢٣٣/٣١٧٢).

شحذ الهوى ميل النفس وشهوتها، واتباع الهوى من أعظم الذنوب، قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣]، وقال: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠]، ودنيا مؤثرة أي: محبوبة مشتهاة، قوله: فإن من ورائكم أيامَ الصبر، أي: بعدَكم أيام يكثر فيها البلاء فيجب الصبر وإن كان صعبًا شديدًا، وقوله: مثل القبض على الجمر، أي: مثل القبض على الجمر بالكف، قوله: للعامل فيهن إلى آخره، يعني: أن ثواب عبادة الرجل الواحد منهم يعدل ثواب عبادة خمسين منكم، لعسر مجاهدة النفس في ذلك الزمان.

٦٢- الحديث الثاني والستون في زيادة فضل العبادة في آخر الزمان

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إنكم في زمان من ترك فيه عُشْر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل من بعشْر ما أمر به نجا[1] وإن العبادة في الهرج كهجرةٍ إلي».[2]

الشرح:

إنَّما كان كذلك لأن أهل زمان النبي - صلَّى الله عليه وسلم - وأصحابه كان خير القرون، وكانت آيات النبي - صلَّى الله عليه وسلم - ومعجزاته متتابعة مشاهدة، والمتعاونون على البر والتقوى كثيرون فكانت العبادة أسهل عليهم وأخف، وفي آخر الزمان الأمر بضد ذلك، الهرج: الفتنة الاختلاط، وقيل: القتل، وقوله: كهجرة إلي، أي: حين كانت الهجرة إليه واجبة، وهي السفر لإنشاء الإسلام على يديه - صلَّى الله عليه وسلم - أو لنصرته.

٦٣- الحديث الثالث والستون في الحثِّ على متابعته - صلَّى الله عليه وسلم، وعلى متابعة أصحابه ﷺ

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إن بني إسرائيل تفرقت على ثنيتين وسبعين ملةً، وستفترق أمة على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٦٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥١٠).

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٧٤٥٤).

على ما أنا عليه وأصحابي». أخرجه (ت).[١] وفي رواية أخرى: عن أبي هريرة ﷺ تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين، وتفرقت النصارى على إحدى وسبعين، أو اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.[٢]

الشرح:

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ قوله - صلَّى الله عليه وسلم - : وستفترق أمتي ....، فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة عن الملة والدين، إذ جعلهم من أمته، قلت: ويدفع هذا قوله - صلَّى الله عليه وسلم - في الرواية الأولى: على ثلاث وسبعين ملة، والملة الدين والشريعة[٣] ويدفعه أيضًا قوله: كلها في النار، لأن المراد به الخلود في النار[٤]، لا الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]، لأن ذلك يعم أمتَّه كلَّها.

٦٤- الحديث الرابع والستون في العمل مع القدر

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج علينا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -، وفي يديه كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟ قلنا: لا يا رسول الله، إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من ربِّ العالمين فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يُزاد ولا ينقص منهم أبدًا، ثم قال للذي في شماله: هذا كتاب من ربِّ العالمين فيه أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يُزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا، فقال أصحابه: فيم العمل يا رسول الله، إن كان أمرٌ قد فرغ منه؟ فقال: سدِّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة، يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل، أي عمل

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٧٤٩١)، وهو في سنن الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٣٤٨).

(٢) وهو في سنن الترمذي (٢٦٤٠)، وقال الألباني: حسن صحيح في صحيح سنن الترمذي.

(٣) هذا خطأ، فإن المقصود بالملَّة هي الفِرقة نفسها، وإنما هو توسُّع في اللفظ. انظر: تحفة الأحوزي (٣٩٩/٧).

(٤) وهذا خطأ أشدُّ من سابقه ، بل الصواب أنهم في النار غير مخلَّدين، وهم قبل ذلك تحت المشيئة كغيرهم من العُصاة الذين لم يكفروا أو يشركوا شركاً أ وكفرًا أكبر يخرج من الدين.

وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل، ثم قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - بيديه فنبذهما، ثم قال: فرغ ربكم من العباد، فريق في الجنة، وفريق في السعير». أخرجه (ت).[١]

الشرح:

قوله: فقال للذي في يده اليمنى، أي فقال: في وصفه، فاللام بمعنى: في، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقوله تعالى: الأوَّل الحشر، قوله: ثم أجمل على آخرهم، أي: عقدت فيه جملتهم بعد التفصيل، من قولهم: أجملت الحساب إذا جمعته جملة بعد تفصيله، فإن قيل: كيف يسع كتاب تحويه اليدان تكتب أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، قلنا قيل: إن ما يكون مكتوبًا بقلم القدرة، ويُطلع الله تعالى على قراءته من شاء من خواص عباده، فإنه كلما قرأ منه أسطرًا تجددت أسطرٌ أخرى مكان المقروءة غيرها شبيه تموج الماء، يتجدد شيئًا فشيئًا، قوله: سدِّدوا وقاربوا: سبق شرحه في الحديث الحادي عشر، وقول الراوي: ثم قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - بيديه، مع أن القول لا يكون إلا باللسان والفم، فمعناها: أشار بيديه.[٢] فنبذهما أي فنبذ الكتابين يعني ألقاهما.

٦٥- الحديث الخامس والستون في معنى الذي قبله

عن علي ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة، فقالوا: يا رسول الله فلا يتكل على كتابنا فقال: اعملوا فكل ميسرٌ لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فسيصير لعمل الشقاء ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل:٥-٦]، فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى"». أخرجه (خ)(م).[٣]

الشرح:

قوله - صلَّى الله عليه وسلم -: من الجنة والنار: إما أن يكون الواو بمعنى: أو،

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٧٥٧٧)، وهو في سنن الترمذي برقم (٢١٤١) حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (٨٤٨).

(٢) هذه العبارة ليست في أصل المخطوط؟ ولكن السياق يستدعيها.

(٣) جامع الأصول: حديث رقم (٧٥٧٩)، البخاري (٦٦٠٥)، وَ(٧٥٥٢) وَ(١٣٦٢).

كما في قوله تعالى: ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر:١]، أو معناه: إن كل إنسان له مقعدان: مقعد في الجنة إن آمن، ومقعد في النار إن كفر، ويؤيده تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠-١١].

٦٦- الحديث السادس والستون في محاجة آدم وموسى عليهما السلام

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - حاجّ آدمَ موسى فقال: أنت الذي أخرجت النَّاس من الجنة بذنبك وأشقيتهم فقال له آدم: أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه أتلومني على أمرٍ كتبه الله عليَّ قبل أن يخلقني؟ أو قال: قدَّرة عليّ قبل أن يخلقني؟ قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: فحجَّ آدمُ موسى. أخرجه (خ)(م).[١] وفي رواية أخرى[٢] لهما قبل أن يخلقني بأربعين عامًا؟ وأخرجه (ط)(د)(ت) أيضًا بألفاظ مختلفة مع تقارب المعنى, وفي رواية (ت) أتلومني على عمل عملته، كتبه الله عليّ قبل أن يخلق السماوات والأرض؟.

الشرح:

حاجّه جادله بالحجة وهي البرهان، وقيل: الكلام المستقيم، اصطفاك، أي: اختارك، وقوله: فحجه، أي: غلبه بالحجة، فإن قيل كيف التقيا حتَّى حاجّه وبينهما آلاف من السنين؟ قلنا: سأل موسى ربه ﷻ أن يريه آدم عليه السلام، فأراه إيَّاه كما شاء على ما روى (د)،[٣] عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: إن موسى عليه السلام، قال: يا رب أرنا آدمَ الذي أخرجنا ونفَسه من الجنة، فأراه الله آدم، ثم ساق الحديث وجاء في بعض روايات (م)[٤] احتج آدم وموسى عند ربهما، فحجَّ آدم موسى، فقوله: عند ربهما، دليل أن على المحاجة بينهما لم تكن رؤيا منام لموسى عليه السلام، فإن قيل: كيف التوفيق بين الرواية التي قال فيها: قبل أن يخلقني بأربعين عامًا، وبين الرواية التي قال فيها: قبل أن يخلق السماوات

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٧٥٩٨)، البخاري (٤٧٣٨) وَ(٣٤٠٩) وَ(٧٥١٥)، مسلم (٢٦٥٢)، أبو داود (٤٧٠٢)، الموطأ (١٧٧١)، طبعة الهلالي، الترمذي (٢١٣٤).

(٢) البخاري (٦٦٤١)، مسلم (٢٦٥٢).

(٣) سبق تخريجهما في الصفحة السابقة.

(٤) سبق تخريجهما في الصفحة السابقة.

والأرض، قلنا: التوفيق بنيهما أن الله كتبه عليه أو قدَّره عليه، أي قضاه وأحكمه مرتين، مرةً قبل أن يخلق السماوات والأرض، ومرةً قبل أن يخلقه بأربعين عامًا، قال الخطابي ـ رحمه الله ـ قد يحسب كثير من النَّاس أن معنى القدر والقضاء من الله تعالى: الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره، ويتوهم أن قوله - صلَّى الله عليه وسلم -: فحجَّ آدمَ موسى من هذا الوجه، وليس كذلك، بل معناه: الإخبار عن تقدم علم الله تعالى، بما يكون من أفعال العباد وأكسابهم، وصدورها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرها, ومعنى القضاء: الخلق كما في قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:١٢]، وأما القدر: فهو اسم لما صدر مقدرًا، عن فعل القادر، وهو المقدار، يقال: قدّرت الشيء وقدرته مخففًا ومشددًا بمعنى واحد ونظير القدر: الهدم والنشر والقبض اسمًا لما صدر عن فعل الهادم والناشر والقابض، فكذا القدر اسم للمقدور، ثم وراء علم الله تعالى في عباده، ووراءه قضاؤه وقدره أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم تلك الأمور، وملابستهم إيَّاها عن قصدٍ وتعمد وتقديم إرادة واختيار فبذلك تتوجه عليهم الحجة ويلزمهم العقاب، وجملة القول في هذا أنهما أمران، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالقضاء والقدر كالأساس، وفعل العبد كالبناء، فمن رام الفصيل بينهما فقد رام عدم البناء ونقضه، فموسى أضاف ما وجد من آدم إلى الفرع، الذي هو كالبناء، وآدم إضافة إلى الأصل، الذي هو كالأساس وإضافته إلى الأصل أرجح، فلهذا قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - فحجَّ آدمُ موسى.

٦٧- الحديث السابع والستون في فضل القناعة والخمول

عن أبي إمامة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من الصلاة، أحسنَ عبادةَ ربِّه وأطاعه في السر، وكان غامضًا في النَّاس، لا يُشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافًا فصبر على ذلك، ثم نقر بيده عُجِّلَتْ منيته، قل تراثه قلّتْ بواكيه، وعنه أيضًا، قال: قال رسول الله عَرَضَ علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا فقلت: لا يا رب ولكن أشبع يومًا، وأجوع يومًا، فإذا جعتُ تضرعتُ إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك». أخرجهما (ت).[1]

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٧٦١٤)، وهو في سنن الترمذي برقم (٢٣٤٧)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي وكذلك في تخريج المشكاة (٥١١٧).

الشرح:

قوله إن أغبط أوليائي: هو من بناء أفعل التفضيل للفاعل، والمراد به أن المغبوط منهم هذا، وقد سبق تفسير الغبطة في الحديث السابع والعشرين المراد بالخفيف الحاذ: الخفيف الظهر من العيال، القليل المال والجاه، قوله: ذو حظ من الصلاة: كناية عن كونه محبًا لها، كثير العناية بفرائضها ونوافلها، قوله: أحسن عبادة ربه، أي أتي بها على أحسن الوجوه، قوله: وأطاعه في السر: أراد به كونه مخلصًا، لأن الطاعة في السر من شأن المخلصين، الغامض الخامل: المنقطع عن النَّاس، وهو دأبُ الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، وأصله من الغامض الذي هو المكان المطمئن من الأرض، ويقال أيضًا رجل ذو غمضٍ، أي: خامل ذليل، قوله: الكفاف الذي لا يفضل عن الحاجة، ولا ينقص عنها، قوله: ثم نقر بيده .....)[1] قوله: عُجّلت منية، أي: خفت عليه سكرات الموت، لقلة علائق الدنيا، التراث: الميراث، وإنَّما قلَّ تراثه لزهده في الدنيا، وإنَّما قَلَّتْ بواكيه لقلة عياله وأقاربه ومعارفه، بطحاء مكة: مسيل واسع، فيه دقاق الحصى، التضرع: الابتهال.

٦٨- الحديث الثامن والستون في الحثّ على اجتناب الحرام والشبهة

عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: «إن الحلال بين والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من النَّاس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا ولكل ملك حمىً، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». أخرجه (خ)(م).[2]

الشرح:

قوله: بيّن، أي: واضح بإيضاح كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -، قوله: فقد استبرأ لدينه، أي: طلب البراءة من التهمة، وتفسير العرض سبق في الحديث الخامس والخمسين، الحمى: المكان المحمي لعزة صاحبه

---

(١) بياض في الأصل بمقدار سطر ....

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٧٦٧٤)، البخاري (٥٢) وَ(٢٠٥١)، مسلم (١٥٩٩).

وشرفه، يوشك أن يُسرع، قوله: أن يرتع فيه، أي: أن يرعى ماشيته فيه، تفسير (ألا) سبق في الحديث الخامس، المحارم: جمع محرم وهو الحرام، وأصل المضغة: القطعة من اللحم، ثم سُمّي بها القلب، والمراد بصلاح القلب اتصافه بالتقوى وبمحاسن الأخلاق، والمراد بفساده اتصافه بضد ذلك.

٦٩- الحديث التاسع والستون في معانٍ شتى (حديث قدسي)

عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: قال الله تعالى: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا، يا عبادي: كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي: كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي: كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفره لكم، يا عبادي: إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم، قاموا على صعيد واحد، وسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي: إنَّما هي أعمالكم، أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه». أخرجه (م).[1]

الشرح:

فلا تظالموا: بفتح التاء، أصله: فلا تتظالموا، فحذف إحدى التاءين تخفيفًا، استهداه: سأله الهداية، الصعيد: التراب، وقيل وجه الأرض، المخيط بوزن المنجل الإبرة، ونقص هنا متعدٍ، ومفعوله مضمر تقديره إلا كما ينقص المخيط ماءَ البحر إذا أُدخل فيه أُحصيها لكم، أي: أَعدّها وقيل: أحصرها، وقوله: (هي) مضمر، يفسره ما بعده وهو الأعمال.

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٨٤٦٦)، مسلم (٢٥٧٧).

٧٠- الحديث السبعون في ذم الأخلاق الرديئة

عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها تقول: بئس العبد عبد تخيّل واختال، ونسى الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبّر واعتدى، ونسى الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها، ونسى المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وطغى، ونسى المبتدأ والمنتهى، بئس العبد عبْدُ يَخْتِلِ الدينَ بالشهوات، بئس العبد عبد طمع يقوده، بئس العبد عبد هوى يضله، بئس العبد عبد رغب يذله. أخرجه (ت).[1]

الشرح:

بئس: كلمة موضوعة للمبالغة في الذم، اختال: تكبر، وأما تَخيّل فلم أجده بمعنىً مناسب هنا، التجبر: التكبر، الاعتداء: إذا كان لازمًا كان معناه مجاوزة الحد، وإذا كان مُعدّىً بعلى كان معناه الظلم، الجبار في صفات الله تعالى: بمعنى المجبر لعباده، القاهر لهم على ما أراد منهم، يقال: جبره على كذا وأجبره عليه، نقله الأزهري، وقيل: معنى الجبار العالي فوق خلقه[2]، سها: غفل، ولها: لعب، البلى: أصله إخلاق الثوب، والمراد به هنا: الموت والفناء، عتا: بالغ في ركوب المعاصي وتمرد، ولم يقبل الموعظة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأعراف:١٦٦]، طغى: جاوز الحد في العصيان أو التكبر أو غيرها، قوله: ونسى المبتدأ، أي: نسى أنه كان معدومًا، ولم يكن شيئًا مذكورًا، فأنعم الله عليه بنعمة الوجود، ثم بنعم أخرى بعدها، لا تعد ولا تحصى، وأما نسيان المنتهى، فالمراد به نسيان الموت والقبر، وما بعدما من أهوال القيامة، الختل: الخديعة والمكر، والمراد أنه يخدع النَّاس بالدين لتحصيل شهوات الدنيا، وفي مطابقة لفظ الحديث لهذا المعنى نظر، الهوى: ميل النفس وشهوتها، الرغب والرغبة: الإرادة.

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٨٤٧١)، وهو في سنن الترمذي (٢٤٤٨) وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٠٢٦).

(٢) الجبَّار له ثلاثة معان : الأول بمعنى القهَّار، والثاني يرجع إلى لطف الرحمة والرأفة، فهو الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، ويجبر المريض بتوفيقه للصبر وتيسير الشفاء له. والثالث من معاني الجبار: أي العلي على كل شيء بجميع معاني العلو: فله - سبحانه - علوُّ الذات، وعلو القَدْر، وعلو القهر.

٧١- الحديث الحادي والسبعون في الحث على الإعراض عن الدنيا، والإقبال على الآخرة

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدّر له،[١] فلا يمسي إلا فقيرًا، أو لا يصبح إلا فقيرًا،[٢] وما أقبل عبد إلى الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة، وكان الله بكل خير إليه أسرع». أخرجه (ت).[٣]

تنبيه: ما تحته خط ليس في الترمذي ولا غيره من الكتب الستة.

الشرح:

همه؛ أي: إرادته وقصده، جعل الله غناه في قلبه، أي: جعله غني النفس، فلا يضره فقرُ كفه، وجمع عليه شمله؛ أي: ما تفرق من أمره، وهي راغمة، أي: ذليلة خاضعة، جعل الله فقره بين عينيه؛ أي: جعله فقيرًا محتاجًا بشدة، حرصه وطمعه وإن كان غني الكف، وفرق عليه شمله، أي: شتّت عليه ما اجتمع من أمره، الود: المحبة، ومصداق الحديث قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦]، وقوله: أسرع، أي: مسرعًا أو معناه: أسرع إليه منه إلى غيره.

٧٢- الحديث الثاني والسبعون في ذم إضافة الأمطار إلى الأنواء

عن زيد بن خالد ﷺ: قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - بعد مطر كان: قال الله تعالى: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك

---

(١) وهو في سنن الترمذي (٢٤٦٥)، وصححه الألباني لغيره في الصحيحة (٩٤٩-٩٥٠).

(٢) رواه البزار من حديث أنس، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٢٣١/٣١٦٩) صحيح لغيره.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (ج٥/ص ١٨٦/٥٠٢٥) من حديث أبي الدرداء، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (ج٢/٢٩٧/١٨٤٢) موضوع!!

كافرٌ بي مؤمنٌ بالكواكب». أخرجه (ح)(م)(د)(ط) بلفظه وأخرجه (س) بمعناه، وفي رواية لأبي هريرة ﷺ عن (م) قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «قال ربكم: ما أنعمت على عبادي من نعمةٍ إلا أصبح فريق منهم بها كافرين، يقولون الكوكب وبالكوكب». (١)

الشرح:

النوء: سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين، في المغرب [و] مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق، يقابله من ساعته في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يومًا، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة إلا الجبهة فإن لها أربعة وعشر يومًا، وهذه المنازل ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها وقيل إلى الطالع، لأنه في سلطانه فيقولون: مُطِرنا بنوء كذا وكذا، ويعتقدون تأثيرها عن اختيار وإردة، لا عن قهر وتسخير، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم:٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل:١٢]، فلهذا وصفهم بالكفر، وهو يحتمل الكفر الذي هو ضد الإيمان، وهو الأظهر، لأنه قابله بالإيمان، ويحتمل الكفر الذي هو ضد الشكر، وهو جحود النعمة، يعني أنه كفر نعمة الله، حيث نسبها إلى غيره، وعِلْمُ النجومِ المذموم المنهي عنه، هو ما يدعيه المنجمون من علم الكائنات والحوادث، التي لم تقع بعدُ بتسيير الكواكب، وانتقالها واجتماعها وافتراقها، فإن ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه حقيقة إلا الله تعالى، ومن المذموم المنهي عنه أيضًا، اعتقادهم تأثيرها عن إرادة واختيار، لا عن قهرٍ وتسخير، حتَّى أن الغالي منهم في كفره يعظمها أيّامًا بدعوات وتسبيحات مخصوصة، وألفاظ توجب الكفر في الشرع، ويبخّرها بأنواع من البخور، ويسألها حاجته، فكل هذا وما أشبهه هو المراد بما روى ابن عباس ﷺ أنه - صلَّى الله عليه وسلم - قال: «من اقتبس بابًا من علم النجوم لغير ما ذكر الله، فقد اقتبس شعبةً من السحر، المنجم كاهن، والكاهن

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٩١٩٨)، البخاري (٨٤٦) وَ(١٠٣٨) وَ(٧٥٠٣) وَ(٤١٤٧)، مسلم (٧١)، ورواية أبي هريرة (٧٢)، أبو داود (٣٩٠٦)، النسائي (١٥٢٤) وَ(١٥٢٥)، الموطأ (٤٩٣) طبعة سليم الهلالي.

ساحر، والساحر كافر».[١] أخرجه رزين وأخرج (د) عن ابن عباس أيضًا: أنه - صلَّى الله عليه وسلم - قال: من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر،[٢] والمراد بما ذكر الله تعالى هو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧]، وقوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]، وأخرج (ط) عن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: إذا أصبح وقد مُطر النَّاس مطرنا بنوء الفتح ثم يتلو هذه الآية: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾[٣] [فاطر:٢]، وأخرج رزين أيضًا عن قتادة أنه قال: خلق الله هذه النجوم لثلاث؛ جعلها الله زينة للسماء، ورجومًا للشياطين وعلامات يهتدي بها، فمن تأول فيها غير هذا فقد أخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا يعنيه،[٤] وما لا علم لديه، وما عجز عن علمه الأنبياء والملائكة صلوات الله عليهم أجمعين. وعن الربيع مثله وزاد: والله ما جعل الله في نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته، وإنَّما يفترون على الله الكذب، ويتعللون بالنجوم، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥]، أي وجعلناها ظنونًا ورجومًا بالغيب لشياطين الإنس، ومنهم المنجمون، نقله الزمخشري، وأما ما يحتج به المنجمون من قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النازعات:٥]، ويعنون به: النجوم فلا خلاف بين أئمة التفسير أن المراد هنا بالمدبرات: الملائكة تنزل بالتدبير من عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ [القدر:٤]، وأما ما يحتجون به من قوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ [الصافات:٨٨-٨٩]، أخبر الله ﷻ عنه أنه نظر في علم النجوم وحكم منه بسقمه، والنبي لا ينظر في علم محرم ولا يحكم بغير الحق فجوابه أن ابن الأنباري قال: أعلمه الله تعالى بطريق الوحي أنه سقيم إذا طلع نجم كذا فلما رآه علم أنه سقيم، وقال غيره معناه: فنظر إلى النجوم التي كانوا يعبدونها

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٩١٩٧)، لا أصل له؛ لأن رزينًا يروي زيادات لا أصل لها كثيرة. ولكن الثابت بلفظ: (من اقتبس شعبة من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد).

(٢) وهو في سنن أبي داود (٣٩٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩٣).

(٣) رواه مالك بلاغًا في الموطأ (٢/١٢٠/٤٩٥) طبعة سليم الهلالي.

(٤) علقه عنه البخاري في باب في النجوم (ج٣/١١٦٨) مجزومًا به، ووصله ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٣٦)، وابن جرير في تفسيره (١٤/٩١) وَ(٢٩/٣) وسنده صحيح.

ثم قال: إني سقيم، أي: سقيم القلب عليكم إذ عبدتم الأصنام، وتكهنتم بنجوم لا تضر ولا تنفع، وقيل: معناه: سأسقم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر:٣٠]، قاله: ليتخلّف عنهم إذا خرجوا إلى عيدهم فيكيد أصنامهم، ولو سلمنا أن المراد بالآية ما ذكره المنجمون، فنقول: إذا كان المنجم كإبراهيم عليه السلام، في أن الله تعالى أراه ملكوت السماوات والأرض، أُبيح له النظر في علم النجوم والحكم منه، وقد ذكر أئمة الشرع: أنه مباح من علم النجوم مقدار ما تعرف به أوقات الصلوات، وجهه القبلة، والطرقات، لا غير، مع اعتقاد أن النجوم مسخرة تسخير الفلك والبحر والأدوية من النبات والمعادن ونحوها.

٧٣- الحديث الثالث والسبعون في وصية النبي - صلّى الله عليه وسلم - لابن عباس ﷺ

قال: قال لي رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك أو قال: أمامك، تَعَرَّف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فإن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا على ذلك، جفت الأقلام وطويت الصحف»، فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل، فافعل فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرًا، ولن يغلب عسرٌ يسرين. أخرجه (ت) بعضه.[١]

الشرح:

قوله: احفظ الله؛ أي: احفظ عهده وصيته يحفظك من عذابه وعقابه ومن شر خلقه، تجده اتجاهك؛ أي: تلقاه والمعنى: أنك إذا طلبته لحاجة وجدته سريع الإجابة قريبها، تعرَّفْ إلى الله تعالى في الرخاء؛ أي: احفظه، يعرفْك في الشدة؛ أي: يجازك، كذا فسرهما البيهقي في مصادره[٢]، والذي في أصول اللغة تعرّفَ الشيء:

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٩٣١٥)، وهو في سنن الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) الصواب ترك تأويل أخبار الصفات وعدم حملها على المجاز .

أي تَطَلَّبه حتَّى عرفه، واستعرف إلي فلان؛ أي: عرّفه نفْسَه، قوله: جفت الأقلام وطويت الصحف: كناية عن فراغ كتابة القلم في اللوح المحفوظ، كل كائن إلى يوم القيامة، فالمقدر السابق المكتوب في الأزال من النفع والضر، لا يزيد ولا ينقص، قوله: أن تعمل لله؛ أي: أن تعبده وتطيعه، الرضا عند أهل الحقيقة: هو سرور القلب بالقضاء، وقيل: هو أن يتحقق العبد أن الله تعالى عَدْلٌ في قضائه غير مُتَّهم في حكمه،[١] اليقين في اللغة: العلم الذي لا شك معه، وعند أهل الحقيقة هو رؤية العيان بقوة الإيمان، لا بالحجة والبرهان، وقيل: هو مشاهدة الغيوب بصفا القلوب وملاحظة الأسرار لمخاطبة الأفكار، قوله: فإن لم تستطع أي فإن لم تقدر على مقام الرضا واليقين لعلوه، فعليك بمقام الصبر، والصبر عند أهل الحقيقة ترك الشكوى من ألم البلوى، وقيل: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة، الكرب: الغم الذي يأخذ بالنفس، وقوله: مع الصبر ومع الكرب يعني: متصلًا به بسرعة، حتَّى كأنه مقارن له، وكذا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ [الشرح:٥]، قوله: ولن يغلب عسر يسرين؛ قيل: أراد به أن العسر أُعيد معرفًا فكان الثاني عين الأوَّل فاتحد، واليسر أعيد منكرًا فكان الثاني غير الأوَّل فتعدّد، وقيل: إنه نزل ما فيه من التفخيم والتعظيم بالتنكير منزلة التثنية، لأن المعنى يسرًا وأي يسر.

٧٤- الحديث الرابع والسبعون في الأمر بجمل من مكارم الأخلاق

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «اتق المحارم تكن أعبد النَّاس، وارضَ بما قُسِمَ لك تكن أغنى النَّاس، وأحسنْ إلى جارك تكن مؤمنًا، وأَحِبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثرِ الضحكَ فإن كثرة الضحك تميت القلب». أخرجه (ت).[٢]

الشرح:

التقوى: سبق في الحديث السادس، المحارم: جمع محرم وهو الحرام.....[٣]

---

(١) حدائق الحقائق، للمؤلف ص٦٣.

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٩٣١٦)، وهو في سنن الترمذي (٢٣٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي وفي السلسلة الصحيحة (٩٣٠).

(٣) بياض مقدار كلمة ...

كثرة الضحك مميتة للقلب لأنها إنَّما تكون عن السهو واللهو والغفلة والبُعد والآخرة، وكـل ذلك يوجب قسوة القلب، وغِلَظَـه وظَلاَمـه وكدره، وأضداد هذه الأمور هي الموجبة لرقته وصفائه، والقلب كالسلطان لبقية الأعضاء، فبصلاحه تصلح الأعضاء كلهـا وبفساده تفسد، كما أن تصلح بصلاح السلطان وتفسد بفساده.

٧٥- الحديث الخامس والسبعون في علامة الشاكر والصابر

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرًا صابرًا، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله لا شاكرًا ولا صابرًا؛ من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه، فحمد الله علي ما فضلّه به عليه، كتبه الله شاكرًا صابرًا، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه، فأسف على ما فاته منه، لم يكتبه الله لا شاكرًا ولا صابرًا». أخرجه (ت).[1]

الشرح:

اعلم أن الصبر والشكر من المقامات الشريفة، الدرجات المنيفة وقد ورد في الخبر: أن الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف الإيمان، وهما وصفان من أوصاف الله واسمان من أسمائه الحسنى، لأنه سمى نفسه صبورًا أو شكورًا و[ورد] الصبر في القرآن المجيد في نيّف وسبعين موضعًا، ولو لم يَرِدْ أن الله مع الصابرين وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم﴾ [الزمر:١٠]، لكان فيهما كفاية، وحقيقة الصبر ثبات باعث الدين على ترك الشهوة، في مقابلة باعث الهوى على اتباعها، وهذا معنى قول بعض المشايخ: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة، وأما قول بعضهم: إنه عبارة عن ترك الشكوى من ألم البلوى، فذلك من علامات الصبر وثمراته، لا أنه حقيقة، وأول درجاته الصابر وأوسطها الصبور، وأعلاه الصبار كالغافر والغفور والغفار هذه قضية اللغة، وقال الغزالي ﷺ: الغفور أبلغ من الغفار، لأن فعال لتكرر الفعل وكثرته، وفعولًا لكماله وتمامه، وأما حقيقة الشكر فهو الثناء على الله تعالى بذكر نعمه، واعتقاد أن النعم كلها منه، وأن الوسائط مسخرون، وقيل: حقيقة الشكر معرفة

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٢١٩٨)، وهو في سنن الترمذي (٢٥١٢)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٩٢٤).

العجز عن الشكر، وقيل: هو أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة، وقيل هو أن يستعان بنعم الله تعالى على طاعاته، لا على معاصيه وقيل: هو رؤية المنعم لا رؤية النعمة، والشكور أبلغ من الشاكر، وقيل الشاكر: هو الذي يشكر على النعم، والشكور هو الذي يشكر على البلاء، والشكر ثلاثة أنواع: شكر اللسان، وشكر بالقلب، وشكر بجميع الجوارح، على ما يليق لها وهو استغلال كل جارحة في طاعة الله، وكفها عن معصيته، وقد اختلف العلماء في الأفضل، من الصبر والشكر؟

فقيل: هما سواء، وقيل: الصبر أفضل، لأن الآيات والأخبار الواردة في فضل الصبر أكثر، ولأن الصبر حال الفقراء، والشكر حال الأغنياء والفقراء أعلى رتبة، ولأن الشاكر مع الزيادة قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، والصابر مع الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]، وقيل: الشكر أفضل لقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، ولأنه جعل الشكر مفتاح كلام أهل الجنة وخاتمته فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر:٧٤]، وقال: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

٧٦- الحديث السادس والسبعون في صلاة التسبيح

عن ابن عباس وأبي رافع ﷺ قالا: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - للعباس بن عبدالمطلب ﷺ: يا عباس، يا عماه، ألا أعطيك؟ ألا أمنحك؟ ألا أجيزك؟ ألا أفعل بك عشر خصال، إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك؟ أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سرّه وعلانيته؟ عشر خصال: أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا أفرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرًا، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرًا، ثم تهوي ساجدًا فتقولها وأنت ساجد عشرًا، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرًا، ثم تسجد فتقولها عشرًا، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرًا، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، يفعل ذلك في أربع ركعات، إن استطعت أن تصليهما في كل يوم مرة فافعل، وإن لم تفعل ففي كل جمعة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة،

فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي كل عمرك مرة. أخرجه (د).[١] عن ابن عباس بلفظه وأخرجه (ت) عن أبي رافع بمعناه، وزاد ولو كانت ذنوبك مثل رمل عالج، غفر الله لك،[٢] وفي رواية أخرى (د)، فإنك لو كنت أعظم أهل الأرض ذنبًا كُفِّر لك بذلك.[٣]

الشرح:

تفسير ألا سبق في الحديث الخامس، والمنح: الإعطاء وهو من باب ضرب وقطع، الإجازة: إعطاء الجائزة وهي الصلة، هذه الخصال العشر بعضها يدخل فيما قبله من جهة المعنى، فيكون ذكره للتأكيد، وبعضها يزيد على ما قبله فيكون ذكره لتلك الزيادة قوله: ثم تهوى ساجدًا، أي: تُسرع وتنحط، عالج: موضع بالبادية معروف بكثرة الرمل.

٧٧- الحديث السابع والسبعون في صلاة الاستخارة

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقُل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال وعاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري ـ أو قال وعاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به» قال: ويسمي حاجته. أخرجه (خ)(د)(ت)(س).[٤]

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٤٣٥٩)، وهو في سنن أبي داود (١٢٩٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، وانظر تخريج المشكاة (١٢٧٩/٧٩/٢).

(٢) وهو في سنن الترمذي (٤٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٣) وهو في سنن أبي داود (١٢٩٨) وَ(١٢٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، راجع صحيح سنن أبي داود (الكتاب الأم) (١١٧٣-١١٧٥).

(٤) جامع الأصول: حديث رقم (٤٣٥٧)، رواه البخاري (١١٦٢، ٦٣٨٢، ٧٣٩٠)، وأبو داود (١٥٣٨)، والترمذي (٤٨٠)، والنسائي (٣٢٥٣).

الشرح:

هم به، أي: قصده وأراده، الاستخارة: طلب الخيرة، وهي الخير في الأمر، الاستقدار: طلب تقدير الفعل، وقيل طلب الإقدار عليه، فيكون كالاستعانة، المعاش: الحياة، قدره من باب نصر وضرب، أي: قدره، قيل: ومنه سميت ليلة القدر لتقدير الأرزاق وغيرها فيها، يسره: سهله.

٧٨- الحديث الثامن والسبعون في صلاة الحاجة

عن عبدالله بن أبي أوفى ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «من كانت له إلى الله حاجة، أو إلى أحد من بني آدم، فليتوضأ فليحسن الوضوء، ثم ليصل ركعتين، ثم ليثنِ على الله، وليصلِ على النبي - صلَّى الله عليه وسلم - ، ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلى فرّجته، ولا حاجة هي لك رضىً إلا قضيتها، يا أرحم الراحمين». أخرجه (ت).[١]

الشرح:

موجبات الرحمة: يوجبها من الأعمال الصالحة، وعزايم المغفرة: الأسباب التي تعزمها، أي: تقطعها وتحققها، البر: اسم جامع للخير كله، الإثم: الذنب، فرّج همّه من باب ضرب، وفرّجه بالتشديد بمعنى، واحد أي إزاله، قوله: هي لك رضًا، أي: مرضية، فالمصدر في موضع المفعول، كقولهم: الدرهم ضربُ الأمير، والثوب نسج اليمن.

٧٩- الحديث التاسع والسبعون في الدعاء:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». أخرجه (خ)[٢] وفي رواية أخرى (م):[٣]

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٤٣٥٨)، وهو في سنن الترمذي (٤٧٩)، وقال الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي: ضعيف جدًا.

(٢) البخاري (١١٤٥).

(٣) مسلم (٧٥٨).

حين يمضي ثلث الليل الأوَّل، الحديث، وزاد في آخره ثم يبسط يديه تبارك وتعالى ويقول: من يعرض غير عديم ولا ظلوم.

الشرح:

لا خلاف بين العلماء في أن الليل أشرف الوقتين للصلاة والدعاء، وأقربهما إلى الإجابة، خصوصًا في نصفه الآخر، خصوصًا في ليلة الجمعة، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل:٦]، وما رُوي (ت)[١] عن أبي إمامة ﷺ، أنه قيل لرسول - صلَّى الله عليه وسلم -: أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات، وما رُوي (م):[٢] عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: إن في الليل ساعةً لا يوافقها رجل مسلم، يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إيَّاه، وذلك كل ليلة، وقيل في تفسير قول يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف،٩٨]، إذ أراد بذلك الاستغفار لهم ليلة الجمعة، قوله - صلَّى الله عليه وسلم -: ينزل ربنا كل ليلة، المراد به، نزول الرحمة والألطاف الإلهية[٣]، وقُربها في ذلك الوقت من العباد لأن النزول والصعود، والحركة والسكون، من صفات الأجسام، والله تعالى مقدس عنها وعن اليد بمعنى: الجارحة[٤]، وقد سبق الكلام في مثله في الحديث الثلاثين، قوله: غير عديم أي غير عادم لما يقرض ولا لبدله، وهو فعيل بمعنى فاعل كرحيم وعليم ونحوهما، وإنَّما خصَّ الثلث الآخر، لأنه وقت غفلة النَّاس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله تعالى، وعند ذلك تكون النية خالصة، والرغبة إلى الله تعالى متوفرة، فيكون الدعاء أقرب إلى الإجابة، جوف كل شيء: داخله، وما بين طرفيه، وهو المراد بقوله: جوف الليل، دبر كل شيء: وراءه وعقبه، والمراد به: بعد الصلوات المفروضات.

---

(١) الترمذي (٧٥٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٢) مسلم (٧٥٧).

(٣) هذا التأويل مردود ؛ والأدلة على رده كثيرة. انظر على سبيل المثال :شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٠، وما بعدها.

(٤) ليس في صفة أثبتها الله تعالى لنفسه أو أثبتها له رسوله ما يُوهم تشبيهًا أو يؤدي إلى باطل.

٨٠- الحديث الثمانون في اسم الله الأعظم، والأدعية المجربة في سرعة الإجابة

عن بريدة قال: سمع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعى به أجاب، وإذا سُئل به أعطى. أخرجه (د)(ت).[١] وعن أنس ﷺ قال: سمع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال: والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعا به أجاب، وإذا سُئل به أعطى. أخرجه (د)(ت)(س)،[٢] وعن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:١-٢]. أخرجه (د)(ت).[٣]

الشرح:

الرجل الذي سمعه رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - في الحديثين: واحد، وهو: أبو عيّاش الزرقي، وقد اختلف العلماء في تعيين الاسم الأعظم اختلافًا كثيرًا، فقيل: هو الله، وقيل: هو يا حي يا قيوم، وقيل: هو يا ذا الجلال والإكرام، وقيل: هو يا الله يا رحمن، وقيل: هو يا إلهنا وإله كل شيء، إلهًا واحدًا لا إله إلا أنت، وبذلك كله فُسر العِلْم الذي اختصر به (آصف) وزير سليمان عليه السلام، ودعا به فأحضر عرش بلقيس، قبل ارتداد طرف سليمان عليه السلام، قال بعض العلماء: فمن أخلص النية، ودعا بهذه الكلمات كلها مع اجتماع شرائط الدعاء المعروفة، فإنه يجاب لا محالة، ومن الأدعية المجربة في سرعة الإجابة هذه الأدعية العشرة:

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٢١٤١)، رواه أبو داود (١٤٩٣) وَ(١٤٩٤)، والترمذي (٣٤٧٥)، وضعفه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٢١٤٣)، رواه أبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (١٣٠٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي وصحيح سنن أبي داود.

(٣) رواه أبو داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

الأوَّل: يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد، يا مبدئ يا معيد، يا فعالًا لما يريد، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت، يا مغيث أغثني، يقول جميع ذلك ثلاث مرات.

الثاني: يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء، يا لطيف لما يشاء، ثم يسأل حاجته.

الثالث: يا رب كل شيء، بقدرتك على كل شيء، اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء.

الرابع: إلهي لا شريك لك فيؤتى، ولا وزير فيرشي، إن أطعتك فبفضلك ولك الحمد، وإن عصيتك فبجهلي، ولك الحجة علي، فبإثبات حجتك عليّ وانقطاع حجتي لديك، إلا غفرت لي.

الخامس: عن ابن عباس ﷺ: أنَّ إبراهيم عليه السلام إنَّما نُجِّيَ من نار نمرود، بقوله عندما ألقوه فيها: حَسْبِي الله ونِعْمَ الوكيل.

السادس: يا كثير الخير، يا دائم المعروف، رُوِيَ أن بهذا الدعاء رَدَّ الله ﷻ على يعقوب - عليه السلام - وَلَدَيْه.

السابع: ما رُوي أن موسى عليه السلام لما حضره فرعون وقومه في طرف البحر، وأمر بضرب البحر بالعصا قال: يا من كان قبل كل شيء، ويا مكون كل شيء، ويا كائنًا بعد كل شيء، ثم ضربه فانفلق بقدرة الله تعالى، حتَّى سلكه هو والمؤمنون ناجين، وغرق فرعون وقومه.

الثامن: ما رُوِي عن وهيب بن الورد ﷺ قال: إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي، وقل هو الله أحد، فإذا أفرغ خرَّ ساجدًا، ثم قال: سبحان الذي لبس العز، وقال به، سبحان الذي تعطف بالمجد، وتكرم به، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي المن والفضل، سبحان ذي الجود والكرم، سبحان ذي الطول، أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم، وجَدّك الأعلى، وكلماتك التاماتِ التي لا يجاوزهنَ بَرٌّ ولا فاجر أن تصلي على محمد، ثم يسأل حاجته التي لا معصية فيها، فإنه يجاب إن شاء الله تعالى، قال وهيب: بلغنا أنه كان يقال: لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونوا بها على معصية الله تعالى.

التاسع: ما رُوي عن أبي عبدالله الوراق ﷺ، أنه قال: لو كان عليك ذنوب مثل عدد القطر، وزبد البحر، لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصًا، إن شاء الله تعالى، ويُقال إنه استغفار الخَضِر عليه السلام: اللهم إني أستغفرك من كل ذنب، تبت إليك منه، ثم عدت فيه، وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي، ثم لم أفِ لك به، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك، فخالطه غيرك، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على ما استعنت بها على معصيتك، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب آتيته في ضياء النهار، وسواد الليل، في ملأٍ وخلاءٍ وسرٍ وعلانية يا حليم.

العاشر: رُوي أن محمد بن علي الحكيم الترمذي ﷺ، رأى رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - في المنام ألف مرة، وفي كل مرة كان يسأل أن يعلمه دعاء، فيعلمه هذا الدعاء الذي يأتي ذكره في كل مرة، ثم رآه بعد الألف مرةً أخرى وسأله أن يعلمه دعاء آخر فعلمه الدعاء الأوَّل بعينه وهو هذا: اللهم إني أسألك حب الحسنات، وبغض المنكرات، وأن تغفر لي وترحمني، وإن أردت فتنةً بين خلقك فنجني إليك منها غير مفتون، أسألك ربَّنا حبَّكَ وحبَّ من يحبك، وحبَّ عملٍ يقربني إلى حبك، يا ذا الجلال والإكرام ويا أرحم الراحمين، فإن قيل: ما الحكمة في إخفاء الله ﷻ اسمه الأعظم عن خلقه؟ قلنا: الحكمة فيه أن يجتهد الداعي في الدعاء بكل أسمائه الحسنى، رجاء مصادفته فيكثر بسبب ذلك الذكر والدعاء، قالوا: ولمثل هذا أخفى ليلة القدر، وساعة يوم الجمعة، ليجتهد الطالبون لها في كل ليالي الشهر، وفي كل ساعات يوم الجمعة، فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، يدل على أنه يجيب بدعاء الداعين، ونحن نرى كثيرًا من الداعين لا يستجاب لهم، مع دعائهم بالأدعية المأثورة المجربة، والكلمات التي قيل إنها الاسم الأعظم، قلنا: رُوي عن النبي - صلَّى الله عليه وسلم - أنه قال: «ما من مسلم دعا الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها»[1]، الثاني: ما رَوَى أبو هريرَة عن النبي - صلَّى الله عليه وسلم - أنه

(١) صحيح. انظر : صحيح الترغيب والترهيب، برقم (١٦٣٢).

قال: «يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَل يقول: دعوت ربي فلم يستجب لي»[١]، أخرجه الجماعة إلا (س) فهذا القول أو اعتقاد معناه مانع من قبول الدعاء، الطاعة لله تعالى، وأكل الحلال، وحضور القلب وقت الدعاء، فمتى اجتمعت هذه الشروط حصلت الإجابة، ولهذا قيل: إن الدعاء بالاسم الأعظم على التعيين مع غفلة القلب أو اشتغاله بغير الله لا يقتضي الإجابة، لأن صفة الأعظمية في الاسم المدعو به إنَّما تثبت بالنسبة إلى الداعي إذا أعرض بقلبه عن كل شيء سوى الله، وأخلص في الالتجاء إليه بحيث لا يرى معطيًا ولا مانعًا سواه، ولا ضارًا ولا نافعًا، قالوا: وفي مثل هذه الحالة يجاب دعاؤه بالاسم الأعظم وغيره، والدليل على أن أكل الحرام مانع من قبول الدعاء ما رَوَىَ أبو هريرة ﷺ: أنه - صلَّى الله عليه وسلم - قال: «أيها النَّاس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]، وقال: ﴿وَإِذۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرامٌ، ومشربه حرامٌ، وملبسه حرامٌ، وغُذي بالحرام فأنى يُستجاب لذلك»[٢]. أخرجه (ت) كلَّه، وأخرجه (م)، ولم يذكر الملبس، الرابع: أن الداعي يعتقد مصلحته في إجابة دعائه، والله تعالى يعلم أن مصلحته في تأخير ما سأل، أو في منعه عنه فيجيبه إلى مقصوده الأصلي، وهو طلب المصلحة فيكون قد أجيب وهو يعتقد أنه منع.

٨١- الحديث الحادي والثمانون في منام طويل رآه رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -

عن سَمُرَةَ بَنِ جُنْدِبٍ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - ذات غداة: إنه أتاني الليلة آتيان وأنهما ابتعثاني، وأنهما قالا لي: انطلق، وأني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا، فيتبع الحجر، فيأخذه فلا يرجع حتَّى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، فقلت لهما:

---

(١) صحيح. انظر : صحيح الترغيب والترهيب، برقم (١٦٤٩).

(٢) صحيح. انظر : صحيح الترغيب والترهيب، برقم (١٧١٧).

سبحان الله ما هذا؟ فقالا لي: انطلق، انطلق، فانطلقت، فأتينا على رجل مستلقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلّوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شق وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينيه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأوَّل، فما يفرغ من ذلك الجانب حتَّى يصبح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى، فقلت: سبحان الله ما هذا؟ فقالا لي: انطلق، انطلق، فانطلقنا، فأتينا على مثل التنور، فإذا فيه لغطٌ وأصوات، فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذًا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا فقلت: ما هؤلاء؟ فقال لي: انطلق، انطلق، فانطلقنا، فأتينا على نهر أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر فاه، فيلقمه حجرًا، فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغرفاه، فألقمه حجرًا، فقلت لهما ما هذان فقالا لي: انطلق، انطلق، فانطلقنا، فأتينا على رجل كريه المرآة أو كأكره ما مرأىً وإذًا عنده نار يحشها ويسعى حولها، فقلت لهما: ما هذا؟ فقالا لي: انطلق، انطلق، فانطلقنا، فأتينا على رجل [في] روضة معتمة معشبة فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل، لا أكاد أرى رأسه طولًا في السماء وإذا حول الرجل من أكبر ولدان رأيتهم، فقلت: ما هذا؟ ما هؤلاء؟ فقالا لي: انطلق، انطلق، فانطلقنا، فأتينا على دوحة عظيمة لم أرَ دوحةً قط أعظم منها، ولا أحسن، فقالا لي: اِرْقَ فيها، فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة، فاستفتحنا ففُتِح لنا فدخلناها، فتلقانا رجال شطر من خلفهم كأحسن ما أنت راءٍ، وشطر منهم كأقبح ما أنت راءٍ، فقالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة، فقالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك، فسما بصري صعدًا، فإذًا قصر مثل الربابة البيضاء، فقالا: هذاك منزلك، فقلت لهما: بارك الله فيكما، فذراني فأدخله، قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله، فقلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجبًا، فما هذا الذي رأيت لي؟ فقالا لي: أما إنا سنخبرك: أمّا الرجل الأوَّل الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه،

وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يأخذ يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر، ويلقم الحجارة، فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها، ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة، فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة، وفي رواية ولد على الفطرة فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - وأولاد المشركين، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح، فإنهم قوم خلطوا عمل صالحًا وآخر سيئًا، يجاوز الله عنهم، وفي رواية أخرى: والدار الأولى التي دخلتَ دارُ عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، فقالا: ذاك منزلك فقلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملته أتيت منزلك. أخرجه (خ).[1]

الشرح:

قوله: ذات غداة، قيل: لفظه ذات زائدة تقديره: غداة، وقيل: هي صفة لموصوف محذوف تقديره في ساعة ذات غداة، وفائدته تمييز تلك الساعة، عن كونها واقعة في الليل، قوله: آتيان، أي: ملكان، ابتعثه: أرسله وهو غير مناسب هنا، وبعثه: أيقظه من منامه، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢]، فيحتمل أن يكون وضع الابتعاث في موضع البعث، أو يكون الابتعاث بمعنى البعث، وإن لم ينقله اللغويون، قوله: يهوي بالصخرة لرأسه، أي: يرمي بها رأسه: ثلغ رأسه شدخه، تدهده الحجر: تدحرج، الكلّوب والكلّاب: حديدة معوجة معروفة، شرشر الشيء: قطعه وشقفه، اللغط: الصوت والجلبة، قوله: ضوضوا: أي صوَّتوا أو جلبوا، قوله: فيفغر فاه: أي يفتحه، قوله: يحشها أي يوقدها، قوله: معتمة أي بناتها تامه، ظاهر النَّور وقوله: معشبة أي ذات عشب، وهو الكلأ الرطب، النَّور:

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (١٠١١)، البخاري (٧٠٤٧).

الزهر، قوله: بين ظهري الروضة، أي: في وسطها بين جانبيها: الولدان جميع وليد وهو الصبي، الدوحة: الشجرة العظيمة، استفتح بمعنى طلب فتح الباب، لم أجده إلا في الحديث وكفى به حجة، شطر منهم، أي: نصفٌ، المحض: اللبن الخالص، فسما: أي علا، وقوله: صُعُدا بضمتين، هو جمع صَعود بفتح الصاد، وهو المكان الذي يُصعد إليه والمراد سمو بصره ونظره في جهة العلو، وانتصابه على الربابة، الربابة السحابة، وقيل: السحابة البيضا، قوله: يأخذ القرآن أي يحفظه، وقوله: فيرفض أي يترك العمل به، أراد بالآفاق أطراف الأرض ونواحيها.

٨٢- الحديث الثاني والثمانون في الإسراء

عن مالك بن صعصعة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «بينما أنا في الحطيم بين النائم واليقظان، إذ أتاني آتٍ فشق ما بين هذه إلى هذه، يعني: من ثغرة نحره إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أُتيت بطست من ذهبٍ، مملوءة إيمانًا، فغسل قلبي ثم حشي، ثم أعيد، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، يضع خطوة عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بي جبريل عليه السلام، حتَّى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسِلَ إليه، قال: نعم، قيل: مرحبًا، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام، وقال: مرحبًا بالابن الصلاح والنبي الصالح، ثم صعد حتَّى أتى السماء الثانية، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به ونعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى، وهما ابنا خالةٍ، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلَّمْ عليهما، فسلمتُ فردا، ثم قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلّمْ عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتَّى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، فقال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا إدريس قال: هذا إدريس فسلّمْ عليه، فسلمت

عليه فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتَّى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون فسلّمْ عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتَّى أتى السماء السادسة، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: قد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلّمْ عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما جاوزته بكى فقيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بُعثَ بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك إبراهيم فسلّمْ عليه، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبعها مثل قلال هَجَرَ وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع إلى البيت المعمور، ثم أُتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فُرضت عليّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بم أُمرتَ؟ قلت: أُمرتُ بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت النَّاس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت فقال: مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا فرجعت إلى موسى فقال: مثله فرجعت فوضع عني عشرًا فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأُمرت بعشر صلوات كل يوم، فقال مثله فرجعت فأُمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أُمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت النَّاس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف

لأمتك، قال: سألت ربي حتَّى استحييت ولكن أرضى وأسلّمُ، فلما جاوزت نادى منادٍ مضيت فريضتي وخفف عن عبادي».[١] وفي رواية أخرى: «ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيمانًا، وفيها فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم». أخرجه (خ)(م)، وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك أخرجها (خ) فإذا هو في السماء الدنيا، بنهرين يطّردان فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفرات، عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤًا وزبرجد، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربُّك، ثم عرج به إلى السماء الثانية، الحديث....، وفيه أنه وجد إدريس في السماء الثانية، وهارون في الرابعة، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى، فقال موسى: ربِّ لم أظن أن ترفع علي أحدًا، ثم علا به فوق ذلك، مما لا يعلمه أحد إلا الله، حتَّى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتَّى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه ـ فيما يوحى إليه ـ خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتَّى بلغ موسى، فلم يزل يردده موسى إلى ربه، حتَّى صارت إلى خمس صلوات، ثم قال له: يا محمد والله لقد داورت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه، فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا، فارجع فليخفف عنك ربك فقال: يا رب أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم، فخفّفْ عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لدي، كما فُرِضتْ عليك في أم الكتاب، وكل حسنة بعشر أمثالها، فهي في أم الكتاب وهي خمس عليك، وفي رواية أخرى أخرجها (م)[٢] عن أنس قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: أُتيت بالبراقَ وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار، ودون البغل، يفتح حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتَّى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط لها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين، وساق الحديث، وفيه في ذكر

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٨٨٦٦)، البخاري (٣٢٠٧) وَ(٣٨٨٧)، مسلم (١٦٤).

(٢) مسلم (١٦٢).

السماء الثالثة فإذا أنا بيوسف، وقد أعطى شطر الحسن وفيه في ذكر السماء الرابعة فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، وفيه في ذكر السدرة، فلما غشيتها من أمر الله ﷻ ما غشى تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، وفيه: ومن همَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت عشرًا، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم نكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة وأخرجه (س)[1] عن أنس وفي آخره فرجعت إلى ربي فسألته التخفيف فقال: إن يوم خلقت السماوات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين، صلاة فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك، فعرفت أنها أمر الله صِرًى بقول حتم فلم أرجع، وفي رواية (ت): أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - أُتي بالبراق ليلة أسري به ملجمًا مسرجًا، فاستصعب عليه، فقال جبريل: أبمحمد تفعل هكذا؟ وما ركبك أحد أكرم على الله منه؟ فارفض عرقًا، وفي رواية أخرى أخرجها (خ)(م) عن أبي ذر قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل عليه السلام، ففرج صدري، ثم غسله من ماء زمزم، الحديث، وفيه: فلما علو بالسماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسْودة وعلى يساره أسْودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: آدم عليه السلام، وهذه الأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، وفيه بعد ذكر السماوات، ثم عرج بي حتَّى ظهرت لمستوىً أسمع فيه صريف الأقلام، وفيه: ثم انطلق بي جبريل، نأتي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أُدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا أترابها المسك.[2]

الشرح:

الحطيم: جدار حجر الكعبة، ثغرة النحر: نقرته التي بين الترقوتين، شِعْرة الإنسان: شعر عانته، لم أجد الاستفتاح بمعنى: طلب فتح الباب في أصول اللغة،

---

(١) النسائي (٤٥٠)، وقال الحافظ الألباني: منكر.

(٢) البخاري (٣٣٤٢) وَ(٣٤٩).

وكفى بلفظ الحديث حجة على صحته والذي نقله اللغويون أن الاستفتاح بمعنى الاستنصار، وبمعنى السؤال عما يشكل من القرآن، وبمعنى الابتداء،[١] قولهم: وقد أرسل إليه، قيل: معناه وقد أرسل أن يجيء إلى السماء في هذا الوقت، وليس المراد السؤال عن نبوته لأن ذلك كان معلومًا للجن أول ما نبئ، وهم إنَّما علموا ذلك استراقًا من جهة الملائكة، خلص وصل السدر: شجر النبق الواحدة سِدْرة، وسدرة المنتهى: شجرة في أقصى الجنة، إليها ينتهي علم الأولين والآخرين، وقال ابن مسعود ﷺ: سدرة المنتهى في السماء السابعة، وإليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما نهبط به من فوقها فيقبض منها القلة حبٌّ عظم وعلى معروفة بالحجاز وقلال هجر تسع، القلة مزادة كبيرة، وتملأ الرواية قلتين، كذا قاله الأزهري، الفيلة بوزن العنبة: جمع فيل، قال ابن عباس ﷺ: البيت المعمور: بيت حيال الكعبة يحجه كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، هكذا إلى يوم القيامة، قوله: فقال: أي جبريل هي الفطرة، أي: هذه الصورة التي أخذتها لأنه قيل له: صُوِّرتْ له ملة الإسلام بصورة اللبن، كما صور له ضده بصورة الخمر، ولهذا جاء في بعض الروايات فلو أخذ الخمر لغوت أمته قوله: ولكن أرضى وأسلّم، قد سبق تفسير الرضا في الحديث الثالث والسبعين، وأما التسليم فمعناه: الانقياد والخضوع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾، أمضيت فريضتي: أي أنفذتها، قوله: آخر ما عليهم، قيل: معناه وتلك الصلاة آخر ما عليهم من زيادته وفيه نظر، يَطَّردان، أي: يجربان، قوله: هذا النيل والفرات عنصرها، أي هذان النهران عنصر النيل والفرات أي: أصلها، الزبرجد: جوهر معروف، قوله: فإذا هو مسك إذفر، أي: فإذا طينه، والاذفر: الذكي الرائحة، فإن قيل: كيف يكون الكوثر في السماء الدنيا وهو في الجنة بلا خلاف، وكل الجنان فوق السماوات السبع باتفاق العلماء، قلنا .....[٢] قوله بتفضيل كلام، أي بتفضيله، بكونه كلامه، الجبار سبق تفسيره في الحديث السبعين، التدني: النزول من علو، وقاب قوسين: قدرها قال أئمة التفسير

---

(١) الذي عليه علماء اللغة أن الهمزة والسين والتاء، إذا اجتمعت مزيدة في أول الفعل الثلاثي أفادت الطلب، فاستعلم: طلب العلم، واستفهم: طلب الفهم وهكذا ... والله أعلم.

(٢) بياض في أصل المخطوط بمقدار سطرين.

والحديث: المراد أن جبريل عليه السلام كان من النبي - صلَّى الله عليه وسلم - في هذه الحالة بهذا القدر من القرب وظاهر لفظ الحديث يرده، لأنه قال: ثم دنا الجبار رب العزة، قوله: فيما يوحى إليه: أي فيما أوحى إليه، فوضع المضارع موضع الماضي، قوله: هبط أي: نزل راوده على كذا أراده منه، ويروى داورت، أي: عالجت، تفسير لبيك وسعديك: سبق في الحديث السابع، والثلاثين ما يبدل القول لدي: أي ما يغيّر القول فيما وعدته من ثواب وعقاب، أم الكتاب: اللوح المحفوظ لأنه أصل كل كتاب منزل، قوله: فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، أي تربط البراق ويدل عليه قول جبريل عليه السلام، للبراق في آخر الحديث: وما ركبك أحد أكرم على الله منه، وقد روى (ت) عن بريدة قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل: كذا بإصبعه فحرق به الحجر وشد به البراق»،[1] قوله: أي فعل قوله: فلما غشيها من أمر الله ﷻ ما غشيَ أي: فلما جاء وهو إبهام تفخيم وتعظيم، ثم قيل: هو فراس من ذهب، وقيل: الملائكة أمثال الغربان، وقيل: رفرف من طير خضر هم بكذا أي قصده وأراده قوله: صرى أي عزيمة وجِدٌ وهو مشتقٌ من أصررت على الشيء، أي أقمت ودمت، قوله: بقولٍ حتمٍ أي واجب، وقيل مقطوع به، فاستصعب عليه أي صعب، والمراد أنه جمح ولم يَنْقَدْ، قوله: فارفض عرقًا أي: سال عرقه مترششًا، وعرقًا نصب على التمييز، الأَسْوِدة: جمع سواد وهو الشخص إنسانًا كان أو غيره، أراد وعن يمينه أشخاص، النسم جمع نسمة وهي الإنسان، ونفس الإنسان أيضًا، ظهر المكان أي علاه، والمستوى المستقر وقيل: المكان المستوي، الصريف: الصوت ومنه صريف البكرة، وصريف ناب البعير، فإن قيل: إن أراد به القلم الذي كتب في اللوح المحفوظ فهو واحد فكيف جمعه، وأيضًا فإنه قد فرغ من الكتابة عقيب ما خلق، كما جاء في الحديث الذي في كتاب الخلق أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد وإن أراد به أقلامًا أخرى فأي الأقلام هي؟ وما مكتوبها قلنا .....[2] الجنابذ القصور، جمع جنبذة.

---

(١) الترمذي (٣١٣٢).

(٢) بياض في الأصل بمقدار سطرين.

٨٣- الحديث الثالث والثمانون في الخوف

عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إني أرى مالا ترون، وأسمع مالا تسمعون، أَطَّتِ السماء وحُقَّ لها أن تَئِطَ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدًا، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله، لوددت أني شجرة تُعضد».[١] وفي رواية أن أبا ذر قال: لوددت أني كنت شجرة تعضد. أخرجه (ت).[٢]

الشرح:

الأطيط: صوت الحامل، والرحال وحنين الإبل، من ثقل الأحمال، والمعنى: أن كثرة ما في السماء من الملائكة قد أثقلها حتَّى أطت وهو كناية عن كثرة الملائكة، وإن لم يكن ثَمَّ أطيط، كذا قاله بعض أئمة الحديث، وقوله - صلَّى الله عليه وسلم : قبله: إني أرى مالا ترون، وأسمع مالا تسمعون يرده، وحُقّ لها أن تَئِطَ أي هي خليفة وجديرة بالأطيط، الصُّعدات: جمع صُعُد، والصُّعُد جمع: صَعيد وهو التراب، وقيل: وجه الأرض، ونظيره طريق ثم طُرُق ثم طُرُقات، والمراد به الخروج إلى الصحراء، تجأرون أي: ترفعون أصواتكم بالدعاء والاستغاثة، وددت بمعنى: تمنيت وبمعنى أحببت، تُعْضَد، أي: تقطع.

٨٤- الحديث الرابع والثمانون في الخوف أيضًا

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - مستجمعًا قط ضاحكًا حتَّى ترى منه لهواته، إنَّما كان يتبسم وكان إذا رأى غيمًا عرق في وجهه، فقلت: يا رسول الله: النَّاس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيت غيمًا عُرف في وجهك الكراهة، فقال: يا عائشة وما يُؤْمني أن يكون منه عذاب؟ قد عذّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (١٩٨٥)، رواه الترمذي (٢٣١٢)، وحسنه الألباني دون قوله: «لوددت أني كنت شجرة تعضد» في صحيح سنن الترمذي.

(٢) علقه عنه الترمذي تحت نفس الحديث.

مُطِرْنَا﴾.[١] وفي رواية أخرى، قالت: كان النبي - صلَّى الله عليه وسلم - إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغيّر وجهه، فإذا أمطرت السماء سُرّي عنه. أخرجه (خ)(م)، بروايتيه وأخرج (د) الرواية الأولى، وأخرج (ت) الرواية الثانية.

الشرح:

قولها: مستجمعًا، أي: ضاحكًا ضحكًا شديدًا، من قولهم استجمع الفرس جريًا إذا جرى جريًا شديدًا، اللَّهوات: جمع لهاة وهي الهَنة المطبقة في أقصى سقف الفم وهي إنَّما تكون واحدة فوضع الجمع موضع الواحد، العارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء، المخيلة كون السحابة، خليقةً وجديرة بالمطر لغلبة علامات ذلك فيها، سُرّي عنه، أي: كشف عنه هَمّه.

٨٥- الحديث الخامس والثمانون في الاقتصاص من الظلمة يوم القيامة

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضَرَبَ هذا، فَيُعْطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أَخَذَ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم يطرح في النار». أخرجه (م)(ت).[٢]

الشرح:

المفلس: هو الذي صار إلى حال، يقال فيها: ليس معه فلس، أو الذي صارت دراهمه فلوسًا وزيوفًا، المتاع: كل ما ينتفع به، والمراد به أوعية الطعام، في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ﴾ [يوسف:٦٥]، وقَذَفَ هذا: أي شتمه، وسفك دم هذا: أي أراقه وصبَّه.

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (١٩٨٣). الرواية الأولى: البخاري (٤٨٢٨) وَ(٦٠٩٢) إلى قوله: «كان يبتسم» وتكملة الحديث رقم (٤٨٢٩)، مسلم (٨٩٩)، أبو داود (٥٠٩٨). الرواية الثانية: البخاري (٣٢٠٦)، مسلم (٨٩٩)، الترمذي (٣١٨٠).

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٧٩٥٩)، مسلم (٢٥٨١)، الترمذي (٢٤١٨).

٨٦- الحديث السادس والثمانون في كلام القبر، وكونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار

عن أبي سعيد ﷺ قال: دخل رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يومًا مصلاه، فرأى أناسًا كأنهم يكثرون، فقال: أما إنكم لو أكثرتم ذكرَ هاذم اللّذات لشغلكم عما أرى، أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه، يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أن بيت الدود والهوام، فإذا دُفِنَ العبُد المؤمن قال له القبر: مرحبًا وأهلًا، أما إن كنت لمن أحبِّ من يمشي على ظهري إليّ، فإذ وليتك اليوم وصرت إليّ، فسترى صنيعي بك، فيتسع له مدَّ بصره ويفتح له باب إلى الجنة. وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر يقول له القبر: لا مرحبًا ولا أهلًا: أما إن كنت لمن أبغض من يمشي على ظهري إليّ، فإذ وليتك اليوم وصرتَ إليَّ فسترى صنيعي بك، فالتأم حتَّى تلتقي وتختلف أضلاعه، وقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - بأصابع يديه فشبكها، ثم يُقيّض له تسعون تنينًا، أو قال تسعة وتسعون، ولو أن واحدًا منها نفخ في الأرض، ما أنبتت شيئًا ما بقيت الدنيا، فتنهشه وتخدشه حتَّى يبعث إلى الحساب، وقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إنَّما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار». أخرجه (ت).[1] إلا أنه قال: سبعون تنينًا، وقال: رزين كما مرّ.

الشرح:

الكشر: التبسم، والمراد بهاذم اللذات: الموت، الهوام: ما يَقْتل من ذوات السموم كالعقارب والحيات وغيرها، قولهم: مرحبًا وأهلًا أي أتيت رعيًا يعني سعةً، وأتيت أهلا لا أجانب، فاستأنس ولا تستوحش أمَا مفتوحًا مخففًا حرف تنبيه مثل: إلا وقد سبق تفسير: ألا في الحديث الخامس، قوله: فإذ وليتك أي: فإذا قربت منك، أو فإذا ثبتت لي عليك ولاية، فالتأم عليه، أي: فاجتمع وانضم، قوله: واختلف أضلاعه، قوله: وقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - بأصابع يديه، أي: فعل، قوله: فشبكها: أي جعلها مشبكة، ثم يقيض له، أي: يسهل ويجابه من حيث لا تحتسب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن

---

(١) سنن الترمذي (٢٤٦٠)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٩٠)، وقال: ضعيف جدًا، وقال في ضعيف سنن الترمذي: «لكن جملة هادم اللذات: صحيحة».

﴿يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ [الزخرف:٣٦]، التنين: ضرب من الحيات، نهش الحية ونهسه بالسين والشين: لسعه، قوله: تخدشه أي تخمشه.

٨٧- الحديث السابع والثمانون في سؤال منكر ونكير

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إن العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرعَ نعالهم، إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأمّا المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا، وأما الكافر والمنافق فيقول: لا أدري كنت أقول ما تقول النَّاس فيه، فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تَليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين». أخرجه (خ).[1] بهذا اللفظ، وفي رواية (م): في ذكر المؤمن، قال قتادة: وذكر .. أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خضر إلى يوم يبعثون، وفي رواية (د): أن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك، فيقول له: ما كنت تعبد؟ فإنِ اللهُ هداه قال: كنت أعبد الله، ثم ذكر سؤاله عن النبي - صلَّى الله عليه وسلم - ، والجواب كما مرَّ ثم قال: فما يسأل عن شيء بعده، ثم يرى بيته في النار وبيته في الجنة فيقول: دعوني حتَّى أذهب فأبشر أهلي، فيقال له: اسكن، وإن الكافر والمنافق إذا وضع في قبره، أتاه ملك، فينتهره، فيقول له: ما كنت تعبد فيقول: لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما يقول النَّاس، فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين، وفي رواية (ت):[2] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إذا قبر الميت، أو قال أحدكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر والآخر: النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم إنك تقول هذا، ثم يفتح له في قبره سبعون

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٨٧٠٥)، البخاري (١٣٧٤)، مسلم (٢٨٧٠)، أبو داود (٤٧٥١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) سنن الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٩١).

ذراعًا في سبعين، ثم يُنَوَّر له فيه نمْ يقال له: ثم فيقول: ارجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتَّى يبعثه الله من مضجعه، ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت النَّاس يقولان قولًا فقلت مثله: لا أدري فيقولان: قد كنا نعلم إنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبًا حتَّى يبعثه الله من مضجعه ذلك».

الشرح:

القرع والخفق: الضرب، لا دريت: أي لا علمت، ولا تليت: قيل: أصله ولا تلوت إلا أنه قلب الواو ياءً للازدواج، ثم قيل: معناه ولا اتبعت النَّاس بأن تقول شيئًا يقولونه وقيل معناه: قرأت، وقال الأزهري: قال يونس: إنَّما هو ولا اتليت أي ولا كان لا بلك أولاد تتلوها، قوله: من يليه، إلا الثقلين، أي: من يقرب منه من الطير والوحش والهوام والملائكة ونحوها إلا الجن والإنس، الخضر بضم الخاء وفتح الصاد الفواكه أو البقول، ورواية الحميدي خضرًا بفتح الخاء وكسر الضاد، فينهزه أي: فيضربه ويدفعه ويردي فينتهره، أي: فيزبره ويزجره، المطرق والمطراق: قياس في الآلة كالمفتح والمفتاح، ولم أجده سماعًا إلا في لفظ الحديث وكفى به حجة، قوله: فيقول ما كان يقول: أي ما كان يقول في الدنيا، ثم يُنَوَّر له فيه، أي: يجعل مضيئًا، العروس: وصف يستوي فيه الرجل والمرأة ما داما في أعراسهما، التئمي عليه؛ أي: اجتمعي وانضمي، قوله: فتختلف أضلاعه، وقوله فيها، أي: في الأرض.

٨٨- الحديث الثامن والثمانون في رجاء قبول التوبة مع الإسراف في الذنوب

عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فَدُلَّ على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل من توبة؟ فقال: لا فقتله، فكمل به مئةً، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فَدُلَّ على رجل، فقال: إنه قتل مئة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوءٍ، فانطلق حتَّى إذا نصف الطريق آتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما

بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة».[١] وفي رواية أخرى[٢] نحوه وفيها: «فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت، فناء بصدره نحوها، وفيها فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبرٍ، فجعل من أهلها»، وفي رواية أخرى نحوه: «وفيها فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وإلى هذه أن تقربي، وقال: هذه أقرب بشبر». أخرجه (خ)(م).

الشرح:

قوله: حتَّى إذا نَصَفَ الطريق بالتخفيف، ونصب الطريق وهو رواية سعد الخير، أي: بلغ نصفه، وفي رواية الحميدي: تنتصفُ الطريقُ برفع الطريق: أي صار نصفين، قوله: فجعلوه بينهم، أي: فجعلوه حكمًا بينهم، فالمفعول الثاني محذوف لدلالة الكلام عليه، قوله: فناء بصدره، أي: نهض به، وأماله حتَّى قرب من الأرض الصالحة.

٨٩- الحديث التاسع والثمانون في سعة رحمة الله تعالى

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - يقول: جعل الله الرحمة مئةَ جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحمون الخلائق حتَّى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه. هذه رواية (خ)(م).[٣] وزاد (خ)[٤] في رواية أخرى فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي من العذاب لم يأمن من النار، وفي رواية أخرى (م):[٥] قال: إن لله مئة رحمة أنزل منها رحمة واحدة للجن والإنس والبهائم والهوام، فيها يتعاطفون وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخّر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة.

الشرح:

التراحم: تفاعل من الرحمة، وهي من الخلق الرقة والتَّعطّف، اليأس: انقطاع

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٩٨٧)، البخاري (٣٤٧٠)، مسلم (٢٧٦٦).

(٢) مسلم (٢٧٦٦).

(٣) جامع الأصول: حديث رقم (٢٦٢٣)، البخاري (٦٠٠٠)، مسلم (٢٧٥٢).

(٤) البخاري (٦٤٦٩).

(٥) مسلم (٢٧٥٢).

الرجاء، البهيمة: كل حيوان لا يعقل، وقيل: كل حيوان استبهم عن الكلام، أي استغلق، وقال الأزهري البهيمة: بمعنى المبهمة عن العقل والتمييز، وقال الزمخشري: البهيمة كل ذات أربع في البر والبحر، الهوام: جمع هامة وهي كل ما يقتل من ذوات السموم كالحيّات والعقارب ونحوها، التعاطف: تفاعل من العطف وهو الشفقة، الوحش: والوحوش حيوان البر، الواحد: وحش.

٩٠- الحديث التسعون في سعة مغفرة الله تعالى

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، عَلِم أن له ربًا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب»،[١] وفي رواية:[٢] اعمل ما شئت فقد غفرت لك، وفي رواية أخرى: قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء. أخرجه (خ)(م).[٣]

الشرح:

إنَّما قال: يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب، فجمع في الأوَّل وأفرد في الثاني، للدلالة على كثرة مغفرته، حيث يغفر الذنوب الكثيرة، وعلى شدة عقابه حيث يأخذ بالذنب الواحد، أيْ بفتح الهمزة: حرف من حروف النداء، ومما جاء عن الله تعالى في سَعَة مغفرته سبحانه؛ ما روى أنس ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: قال الله تعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم ولو بلغت عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرةً». أخرجه (ت).[٤] (ما): ظرفية في قوله: ما دعوتني: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ [المائدة:٢٤]، وقوله: ولا أبالي، أي: ولا أكترث، والعَنان بالفتح:

---

(١) البخاري (٧٥٠٧)، مسلم (٢٧٥٨).

(٢) مسلم (٢٧٥٨).

(٣) جامع الأصول: حديث رقم (٢٣٥٠).

(٤) جامع الأصول: حديث رقم (٥٨٧٧)، الترمذي (٣٥٤٠)، وقد صححه الإمام الألباني.

السحاب، الواحد عنانة، قِراب الأرض بالكسر: ما يقارب ملأها.

٩١- الحديث الحادي والتسعون في ثمرة الخوف

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا متُّ فاحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات فُعِلَ به ذلك فأمر الله الأرض: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، أو قال: مخافتك، فغفر له بذلك»،[١] وفي رواية أخرى[٢] قال: قال رجل: ـ لم يعمل حسنه قط ـ لأهله: إذا متُّ فحرّقوه، ثم ذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، فلما مات الرجل، فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب، وأنت تعلم، فغفر الله ﷻ. أخرجه (خ)(م).[٣]

الشرح:

قوله: يسرف على نفسه، أي: يكثر المعاصي، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر:٥٤]، وفي هذا الحديث دلاله على أن الخوف من الله تعالى يمحو الكفر أيضًا، أو ما هو في معنى الكفر[٤]، لأن ذلك الرجل اعتقد أنه إذا فُعل به ما قال لا يقدر الله تعالى عليه، وهذا الاعتقاد كفر أو في معنى الكفر.

٩٢- الحديث الثاني والتسعون في أن أمة رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - نصف أهل الجنة

عن عمران بن حصين ﷺ قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج:١]، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج:٢]، قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم:

---

(١) البخاري (٣٤٨١)، مسلم (٢٧٥٦).

(٢) البخاري (٧٥٠٦)، مسلم (٢٧٥٦).

(٣) جامع الأصول: حديث رقم (٥٨٨٠).

(٤) خوفه مع إيمانه بالله تعالى واليوم الآخر في الجملة.

ابعث بعث النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: تسعمئة وتسعة وتسعين إلى النار [و] واحد في الجنـة، فأنشأ المسلمون يبكـون، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - قاربوا وسددوا فإنه لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية فتؤخذ العبدة من الجاهلية، فإن تمت وإلا كَمُلت من المنافقين، وما مثلكم ومثل الأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة، أو كالسامة في جنب البعير، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبروا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبروا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا»، قال الراوي: ولا أدري قال الثلثين أم لا،[١] وفي رواية أخرى؛ فيقول: أي رب وما بَعْثُ النار فيقول: تسعمئة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة، فَبئِس القوم حتَّى ما أبدوا الضحكة، فلما رأى ما بهم، قال: اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه؛ يأجوج ومأجوج، ومن مات من بني آدم ومن بني إبليس، فسُرِّي عنهم بعض الذي يجدون، فقال: اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في النَّاس إلا الشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة. أخرجه (ت).[٢]

الشرح:

قوله: ابعث بعث النار؛ أي: حزبها وفريقها، وأصل البعث: الحبس، قوله: تسعمئة، الرواية بالنصب وهو بتقدير ابعث، وقوله: وواحد إلى الجنة: تقديره وواحد يصير إلى الجنة، ولا يحق نصب الواحد، لأن ما قبله تقدير ابعث جوابًا لقوله: وما بعث النار فلا يصح، وابعث واحدًا إلى الجنة من تتمة بيان بعث النار، قاربوا وسددوا: سبق شرحه في الحديث الحادي عشر، قوله: بين يديها، أي: قبلها قوله: فتؤخذ العدة أي: عدة بعث النار، والعدة، الجماعة، ومنه قولهم: أرسلت إلى فلان عدة كتب، قوله: وما مثلكم ومثل الأمم، أي: في قلتكم بالنسبة إليهم، رقمه الدابة أثر في باطن عضدها، ولكل دابة رقمان في عضديها، الشامة: الخال، قوله: فكبّروا، أي: فشكروا سرورًا، قول الراوي قال: الثلثين ضمّن قال معنى: ذكر ما عمله في المفرد، قوله: فبئس القوم: أي حزنوا، الضاحكة الِّسن التي بين الأنياب والأضراس،

---

(١) الترمذي (٣١٦٨)، وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي: ضعيف الإسناد.

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٦٧٤٨)، سنن الترمذي (٣١٦٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

وهي أربع، والباء زائدة في قوله بضاحكة، والمعنى أنهم ما تبسّموا حتَّى أبدوا ضاحكة، فإن من تبسّم أدنى تبسم بدت أسنانه، قوله: إلا كثرتاه بالتخفيف، أي: غلبتاه بالكثرة، وأراد بالخليفة الواحدة يأجوج ومأجوج، وبالأخرى من ذكره بعدهما وهو تسلية لهم بالقلة، حتَّى لا تحزنهم كثرة أهل النار، فسُرِّيَ أي: كشف وأزيل.

٩٣- الحديث الثالث والتسعون في رؤية الله تعالى يوم القيامة وفي سعة رحمته وغير ذلك

عن أبي هريرة ﷺ أن النَّاس قالوا: يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا قال: فإنكم ترونه كذلك، يحشر النَّاس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون هذا مكاننا حتَّى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا؟ فيدعوهم، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ، اللهم سلّم سلّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف النَّاس بأعمالهم، فمنهم من يُوبَقُ بعلمه، ومنهم من يخذل ثم ينجو، حتَّى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان يعبد فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتحنوا، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة، في جميد السبل ثم يفرغ الله من القصاص من العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولًا الجنة، مقبل بوجههِ قبل النار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، قد قشبه ريحها وأحرقني ذكاها، فيقول: هل عسيت إن أفعل ذلك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول لا وعزتك، فيعطي اللهَ ما شاء من عهد وميثاق، فيصرف اللهُ وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدِّمني عند باب الجنة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق ألا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيت أن أُعطيت

ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غير هذا، فيعطي ربَّه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها رأى زهرتها، وما فيها من النضرة والسرور، وفي رواية أخرى: فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت له الجنة، فرأى ما فيها من الخضرة والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة فيقول الله: ويحك يا بن آدم وما أغدرك أليس قد أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله تعالى منه، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنَّ فيتمنى حتَّى إذا انقطع أمنيته، قال الله: تمنَّ من كذا وكذا، يذكره ربُّه حتَّى إذا انتهت به الأماني، قال الله: لك ذلك ومثله معه، وفي رواية أبي سعيد وعشرة أمثاله، قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخول الجنة. أخرجه (خ).[١] عن أبي هريرة وأخرجه (م)[٢] عن غيره وأخرجه (ت)[٣] عن أبي هريرة، وفي رواية: فيقوم المسلمون، ويوضع الصراط فيمرون عليه: مثل جياد الخيل والركاب، وقولهم عليه: سلّم سلّم، ويبقى أهل النار، فيطرح منهم فيها فوجٌ، فيقال: هل امتلأتِ فيقول هل من مزيد، حتَّى إذا أُوعبوا فيها، وضع الرحمن قدمه فيها، وأزوى بعضها إلى بعض، ثم قال: قط، قالت: قط، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، أتي بالموت ملببًا فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين، يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت الذي وكل بنا، فيضجع فيذبح ذبحًا على السور، ثم يقال لهم: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت.

الشرح:

تمارون: بفتح التاء والراء تشكون، وأصله تتمارون فخفف بحذف إحدى التائبين، ومنه قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾ [الرحمن:٢١]، أي تشك، وفي رواية سعد الخير: تُمارون بضم التاء والراء ومعناه تجادلون، وقيل معناه: تجادلون على وجه الشك، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [النجم:١٢]، قوله: فإنكم ترونه

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٨١٢٦)، البخاري (٨٠٦) وَ(٦٥٧٣) وَ(٧٤٣٧).

(٢) مسلم (١٨٢).

(٣) الترمذي (٢٥٥٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

كذلك الكاف: للتشبيه، في الرواية التي هي فعل الرائى لا في المرئي تعالى الله عن ذلك. فمعناه: أنكم ترونه رؤية لا شك معها لرؤيتكم القمر ليلة البدر، الطواغيت: جمع طاغوت وهو الكاهن والشيطان والصنم، وكل رأس في الضلال، قولهم: هذا مكاننا، أي: لا نفارقه، قوله: ويُضرب الصراط أي يُمَدُّ قوله: من ظهراني جهنم، أي: بين طرفيها، السعدان: نبات ومن أفضل مراعي الإبل وفي المثل مرعى ولا كالسعدان، وله شوكة يقال له حسكة السعدان، فمنهم من يُوبَق بعمله، أي: يهلكه بوقوعه في النار، المخرذل بالدال والذال: المقطع قطعًا صغارً أو أراد أن تقطعه كلاليب الصراط، وقيل: المخردل: المرمي المصروع لتحشوا: أي احترقوا، وقيل: ذهبت جلودهم وظهرت عظامهم، الحبة بالكسر بذور الصحراء مما ليس بقوة. حميل السيل: ما حمله من الغثاء والجفاء فألقاه على جوانبه، وهو فعيل بمعنى مفعول، قوله: قشبني ريحها: أي آذاني، وقشّبني بالتشديد منه، والرواية بالتخفيف والقشب: السم، والقشيب، المسموم فكأنه قال: سمني ريحها، ذَكا النار: مفتوح مقصور: اشتعالها ولهبها، بهجة: الحسن زهرتها، وقيل: نضارتها وحسنها، والنضرة: الرونق والحسن، انفهقت له أي: انفتحت واتسعت الحبرة السرور والنعمة، قوله: حتَّى إذا انتهت به الأماني: أي حتَّى إذا فرغت أمانيه وانقضت، الركاب: الإبل المركوبة أُو عبوا فيها؛ أي: جُمعوا كلهم، زوى، أي: جمع وختم، قط، أي: حسبك وكفاك، ملببًا: أي مجرورًا مقودًا، كأنه قد أُخذ بتلابيبه، وهو استعارة، والأخذ بالتلابيب هو أن يجمع على الإنسان ثوبه، ويؤخذ بمقدمه فيجدبه، اطلع، أي: نظر وأشرف.

٩٤- الحديث الرابع والتسعون في معنى الذي قبله

عن أبي سعيد ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: نعم فهل تضارّون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب؟ وهل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فما تضارّون في رؤية الله تعالى يوم القيامة، إلا كما تضارّون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذّن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، ولا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتَّى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغُبّر أهل الكتاب، فتدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: نعبد عزيز ابن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟

قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تَرِدون؟ فيحشرون إلى النار، كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار، حتَّى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تبعد، قالوا: يا ربنا فارقنا النَّاس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا يشرك بالله شيئًا، مرتين أو ثلاثة، حتَّى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان سجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أوَّل مرة، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربُّنا، ثم يُضرب الجِسْر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلّم سلّم، قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلةٍ، فيه خطاطِيف وكَلالِيب وحسكة تكون بنجدٍ فيها شُوَيْكةٌ يقال لها السَّعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مُسَلَّم ومخدوش مرسل، ومكدوش في نار جهنم، حتَّى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد منا شدةً لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لأعوانهم، الذين في النار. وفي رواية: فما أنتم بأشد مناشدةً في الحق، قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجو في إخوانهم، فيقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا مَنْ عرفتهم، فتُحرم صورهم على النار، فيُخرِجون خلقًا كثيرًا، قد أخذت النار إلى نصف ساقه، وإلى ركبته، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقال: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرِجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير، فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحد، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا، وكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠]، فيقول الله ﷻ: شفعتِ الملائكةَ وشَفَعَ النبيون، ولم يبق إلا

أرحم الراحمين، فيقبض قبضةً من النار فيخرج منها قومًا من النار لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حممًا، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة، يقال له: نهر الحياة، فَيخرُجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، لا ترونها تكون إلى الجحراء وإلى الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلا الظل، يكون أبيضَ فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية؟ قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله، الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعطِ أحدًا من العالمين فيقول لكم: عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا أيَّ شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي فلا أسخط عليكم أبدًا. وفي رواية أخرى[1] فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقال: هل بينكم وبينه آية تعرفونها؟ فيقولون: نعم؛ الساق فيكشف عن ساق فيسجد له كل مؤمن. أخرجه (خ)(م).[2]

الشرح:

رُويَ تُضارون بضم التاء وتخفيف الراء، من الضير، يقال: ضاره يضيره ضيرًا أي: ضره، والمعنى: أنكم تستوون في رؤية ربكم، ولا يضير بعضكم بعضكم بعضًا بالانفراد بها، ولا بالمضايقة، بضم التاء وتشديد الراء، أي: لا تضامون من التضام أو المضامة، وهو الازدحام، وقرب بعضهم من بعض، الأنصاب جمع نُصب، وهو كل ما نُصِبَ فعبد من دون الله، وفيه ثلاث لغات نُصْبٍ بوزن فُعْلٍ ونَصْبٍ بوزن ضَرْبٍ ونُصُبٍ بضمتين، البَرُ: المطيع، والفاجر: الفاسق، والغبّر: جميع غابر وهو الباقي في الحطم: الدق والكسر، والمراد به تموجها واضطرابها، قوله: أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها، أي: في أقل منها جلالًا وعظمةً، قوله: تتبع كل أمة ما كانت تعبد؛ أمرٌ بلفظ الخبر قولهم: فارقنا النَّاس إلى آخر معناه، قوله: ليكاد ينقلب أي: يرتد عن دينه، الآية:العلامة، قوله: اتقاءً أي: خوفًا والمراد بالطبقة الصفيحة، قوله: تحل الشفاعة، أي: يجيء وقت شفاعة الأنبياء والملائكة وغيرهم ممن له

---

(١) مسلم (١٨٣).

(٢) جامع الأصول: حديث رقم (٧٩٧٥)، البخاري (٤٥٨١)، مسلم (١٨٣).

شفاعة، يقال: مكان دحضٌ ودحضٌ بسكون الحاء وفتحها، أي: ذلق والمزلة بفتح الزاء وكسرها موضع الزلل، والمراد أنَّ القدم لا يثبت على الصراط، فيسقط صاحبها، الخطاطيف: جمع خطافٍ وهي حديدة معوجة، والكلاليب: جمع كلاب وهو المنشار، السعدان سبق شرحه في الحديث الذي قبل هذا، قوله: كطرف العين أي كإطباق الجفن أو تحريكه، فهو مصدر، أجاويد الخيل: جمع أجياد، وأجياد جمع جوادٍ وهو الفرس الرائع، والركاب الإبل المركبة: المخدوش المجروح ومكدوش في نار جهنم أي مدفوع من تكدس على رأسه أي سقط بدفع من ورائه، قال الحميدي: الرواية مكدوش، قال: وقيل: إنه تحريف من الرواية وإنَّما هو مكردش أي: مقيد، مناشدةً لله أي: سؤاله وإقسامًا عليه، وشرح الجبار سبق في الحديث السبعين، قوله: من خير أي من إيمان لأن الخير الذي يكفي في القلب إنَّما هو الإيمان وتوابعه من الإخلاص واليقين ونحوهما فعلى هذا يكون قولهم: لم نذر فيها خيرًا أي لم نذر في النار من في قلبه إيمان، ويكون قوله: فيخرج منها قومًا من النار لم يعملوا خيرًا قط، أي: لم يؤمنوا لأن الإيمان عمل القلب، لأنه لو أريد به أنهم مؤمنون إلا أنهم لم يعملوا مع إيمانهم خيرًا بجوارحهم الظاهرة، لما صح ما قبله من قولهم: لم نذر فيها خيرًا، فيقتضي لفظ هذا الحديث وجود المغفرة لغير المؤمنين وإخراجهم من النار، وقوله في الحديث بعد هذا: بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه يدل على أن المراد بالخير غير عمل الجوارح، الحمم: جمع حُممة وهي الرماد والفحم وكل ما حترق من النار، الأفواه: جمع فُوّهةٍ بوزن فُعلّةٍ وهي أول النهر والزقاق أيضًا، الحبة وحميل السيل سبق شرحهما في الحديث الذي قبل هذا، قوله: ألا ترونها يعني: الحبة تكون إلى الحجر أي تكون إلى جانبه أصيفر وأخيضر، وأُبيّض، تصغير لأصفر وأخضر وأبيض، والمراد بالتصغير ....[1] وفي رواية الحميدي: يكون أبيض من غير تصغير قولهم: كأنك كنت ترعى بالبادية، يعنون: أن هذه الصفات في الحبة أنها يعرفها هكذا من يكثر رؤيتها ومخالطتها ولا المراد بالخواتيم: علامات يعرفهم بها أهل الجنة، والكلام في الصورة، والساق قد سبق شرحها في الحديث الثلاثين.

---

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

٩٥- الحديث الخامس والتسعون في كرم الله ﷻ

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: يا رب ادنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله ﷻ: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه ﷻ يعذر لأنه يرى مالا صبر عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب ادنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فلعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه تعالى يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة، وهي أحسن من الأولين فيقول: أي رب ادنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ وربه ﷻ يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ وضحك رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - فقالوا: أم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين، حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين، فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر». أخرجه (م).[1]

الشرح:

قوله: يكبو أي: يسقط، وتسفعه النار: أي تغيره بوصول لفحها إليه، تبارك وتعالى الله: تفاعل من البركة، وهي النماء والزيادة فمعناه كثرت بركته واتسعت، وقيل: تعال وتعاظم وقبل ثبت ودام، وقال الجوهري: تبارك الله، أي: بارك فمعناه أن اسمه تبارك في كل شيء يذكر عليه ويبتدأ به، ادنني: أي قربني، قوله: وأشرب من

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٨١٢٣)، مسلم (١٨٧).

مائها أي من ماء الجاري تحتها، ما يصريني منك، أي: ما يقطعني وتمنعني من سؤالك يعني ما الذي يرضيك، وأصل الصري: القطع والدفع والجمع أيضًا، ومنه الشاة المضراة وهي التي جمع لبنها وقطع حلبه، الهزوء: السخرية يقال: هزى منه وهزى به هُزءاً وهُزُءاً أيضًا.

٩٦- الحديث السادس والتسعون في بعض نعيم أهل الجنة

عن سعيد بن المسيب ﷺ قال: لقيت أبا هريرة، فقال لي: أسأل الله تعالى أن يجمع بيننا في سوق الجنة، فقلت أسوق فيها؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنئ على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله تبارك وتعالى محاضرة، حتَّى يقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان أتذكر يوم كذا وكذا؟ إذا قلت كذا أو كذا، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى وبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم تجدوا أسنى من ريحه شيئًا قط، ويقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم فتأتي سوقًا قد حفت به الملائكة في ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم تخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا بغير بيع ولا شراء، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا فيقبل الرجل منهم من منزلته المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنئ، فيروعه ما عليه من اللباس فما ينقضي آخر سلامه عليه، حتَّى يصير عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا، فيتلقانا أزواجنا فيلقن: مرحبًا وأهلًا، لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه، فنقول: إنا زرنا اليوم ربنا الجبار، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما عليه انقلبنا. أخرجه (ت).[1]

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٨٠٥٢)، وهو في سنن الترمذي (٢٥٤٩)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

الشرح:

قوله: نزلوا فيها بفضل أعمالهم، أي: تكون مراتبهم ودرجاتهم بحسب أعمالهم، قوله: ويبرز، أي: يظهر، قوله: ويجلس أدناهم أي: أخسهم منزلة وأدونهم. الكثبان: تلال الرمل، واحدها: كثيب، أراد بأصحاب الكراسي: أصحاب المنابر، قوله: حاضره أي: واقفه وحافقه، الغدرات: جمع غدرة وهي المرة من الغدرة، وهو ترك الوفاء بالعهد، غشيتهم: جاءتهم، حفت به: أي أحاطت فيروعه: أي يعجبه، وقوله: وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها: يريد أنه لو لم يعط مثل ما رآه عليه من اللباس يحزنه ذلك مرحبًا وأهلًا: شرحناه في الحديث السابع والثمانين، والجبار: شرحناه في الحديث السبعين، قوله: وبِحق لنا بكسر الحاء، أي: يجب لنا، وفي بعض النسخ ويحُقنا وهو بضم الحاء، أي: ويجعلنا ذلك حقيقين وجديرين بهذا الانقلاب.

٩٧- الحديث السابع والتسعون في شفاعة رسول الله - صلّى الله عليه وسلم -

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلم -: «إذا كان يوم القيامة ماج النَّاس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لذريتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيؤتى موسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد، فأوتى، فأقول: أنا لها، أنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فأقوم بين يديه، فأحمد بمحامده لا أقدر عليه إلا أن يلهمنيه الله، ثم أخرّ ساجدًا فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسل تُعْطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول لي: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برةٍ أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجدًا، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسل تُعطه، واشفع تُشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربي، فأحمد بتلك المحامد ثم أخرّ له ساجدًا، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك، وسل تُعطه، واشفع تُشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه مثقال أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأفعل ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجدًا فيقال لي: يا

محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك، وسل تُعطه واشفع تُشفع، فأقول: رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال ليس ذلك لك، أو قال: ليس ذلك إليك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله». وفي رواية أخرى بمعناه: وفيها فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحًا فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا، فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم، وذكر خطيئته، التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتون موسى فيقول لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا على روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمدًا عبدًا قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: فيأتوني فأستأذن على ربي، وساق الحديث حتَّى قال في الثالثة أو في الرابعة: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود، ثم تلا أنس قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩]، أو قال: هذا هو المقام المحمود الذي وعده رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - ، وفي رواية أخرى: يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرةً، ورواه بعضهم ما يزن ذرة بالضم بالتخفيف، وقيل هو تصحيف، وفي رواية أخرى: من إيمان مكان خير ومنها: فيأتوني فأستأذن على ربي في داره. أخرجه (خ)(م).[1] وفي رواية أخرى (خ)(م):[2] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - قال: «أنا سيد النَّاس يوم القيامة، وسياق الحديث بمعناه، إلى أن قال بعد مجيء الخلائق إلى آدم، وسؤالهم إيَّاه أن يشفع لهم، فيقول لهم آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي، ويقول لهم نوح مثل ذلك ثم يقول: وإنه كانت

(١) البخاري (٧٥١٠)، مسلم (١٩٣).

(٢) البخاري (٤٧١٢)، مسلم (١٩٤).

لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، ويقول لهم إبراهيم مثل ذلك ثم يقول لهم: وإني كنت كذبت ثلاث كذبات؛ فقلت للكواكب: هذا ربي، وقلت: بل فعلها كبيرهم هذا، وقلت: إني سقيم، نفسي نفسي نفسي، ثم يقول لهم موسى مثل ذلك، ثم يقول: لهم: وإني قد قتلت نفسًا لم أؤمر بقتله، نفسي نفسي نفسي، ثم يأتون عيسى، فيقول لهم مثل ذلك، ولا يذكر ذنبًا، ثم يقول: نفسي نفسي نفسي، قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - فيأتوني فأنطلق فأتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبل، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تُعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن، من أبواب الجنة، وهم شركاء النَّاس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى».[1]

الشرح:

قوله: ماج النَّاس، أي: اضطربوا، وإنما عدّاه بإلى أنه ضمَّنه معنى: مال، قوله: لست لها، أي: لست أهلًا للشفاعة، أي لست مختارًا لها، خليل: أي المخصوص بمحبته، كليم الله: أي الذي كلَّمه الله، روح الله: أي: رحمة الله لخلقه الذين بعث لهدايتهم وكلمته، لأنه انتفعَ به في الدين كما ينتفع بكلام الله، وقيل: لأنه وُجِد بكلمة الله تعالى، وهي قوله: كُنْ مِن غير واسطة أبٍ، ألهمه كذا: إذا ألقاه في قلبه، ثم آخر، أي: أسقط، قوله: أدنى أدنى الثاني والثالث: تأكيد للأول، الكبرياء: العظمة فيكون ذكر العظمة بعده تأكيد لما يزن، شعيرة أي: ما يساويها في الثقل في داره، أي: في حضرة قدسه، وقيل: في الجنة، لأن الجنة تسمى: دارَ السلام، والله هو السلام قوله: نفسي أي حسبي هم نفسي، أو أمر نفسي، والثاني والثالث تأكيد قوله: أمتي يا رب أي: أمتي، يا رب أسأل أو فيها أشفع ونحوه، والثاني والثالث تأكيد، قوله هم شركاء النَّاس، أي: بقية أمتك الذين عليهم حساب.

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٨٠١٥).

٩٨- الحديث الثامن والتسعون في قبض روح المؤمن والكافر

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إذا أُحْضِر المؤمنُ أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضيةً مرضية عنك إلى روح الله وريحان، وربٍّ غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتَّى إنه ليناولون بعضهم بعضًا حتَّى يأتوا به أبواب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحًا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه: ماذا فعل فلان، ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا فيقول: قد مات، أما أتاكم فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا احْتُضِر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطةً مسخوطًا عليك إلى عذاب الله ﷻ فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتَّى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح، حتَّى يأتون به أرواح الكفار». أخرجه (س).[1]

الشرح:

يُقال حُضِر الرجل واحْتُضِر: أي قرب موته، لأنه حَضَره الموت أو ملائكته، قولهم: أُخْرُجي؛ الخطاب لروحه، روح الله! الرحمة، وقيل: الراحة، وقيل: طيب النسيم ليناولوه، الضمير المروح وهو يذكر ويؤنث، فلهذا قال: يناولوه والمراد أن الملائكة يتناول بعضهم بعضًا روح المؤمن، فيقولون ما أطيب هذه الريح، أي فتقول ملائكة الرحمة بعضهم لبعض، قول: فيسألون، أي: تسأل أرواح المؤمنين تلك الروح القادمة، دعوه ليستريح فإنه كان في غم الدنيا ولا تتعبوه بالمسآلة، أو تقول ذلك بعض أرواح المؤمنين لبعض، فيجيبهم هو عمن سألوه عنه، بأنه قد مات وإنَّما أُخبرت أرواح المؤمنين بأن المسؤول عنه قد ذهب به إلى الهاوية، وهي جهنم لأنهم أخبروا بموته، ولم تقدم إليهم روحه، وأرواح المؤمنين عندهم لا غير، المِسح: البلاس.

٩٩- الحديث التاسع والتسعون في صفة الجنة

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنةٍ فضة، ولبنةٍ

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٨٥٥٥)، سنن النسائي (١٨٣٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٠٩).

ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران. أخرجه (ت).[١] وأخرج أيضًا عن أبي موسى قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إن في الجنة خيمة من درة مجوفة عرضها ستون ميلًا في كل زاوية منها أهلٌ، لا يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن»،[٢] وفي رواية (خ)(م)[٣] عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها الستون ميلًا وفي رواية عرضها، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا، وروى (خ)(م)[٤] عن سهل بن سعد أنه - صلَّى الله عليه وسلم - قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، وفي رواية أبي سعيد:[٥] يسير الراكب الجواد المضمّر السريع مئة عام ما يقطعها.

الشرح:

المِلاط: بالكسر: الطين الذي يجعل من ساقي البناء يملط به الحائط، أي: يصلح، المسك الأذفر: هو الذكي الرائحة، الحصباء الحصى، التربة: التراب، قوله: مجوفة، أي يذات جوف يريد بعرضها سعتها، ويريد بطولها في السماء ارتفاعها وعلوها، الميل: ثلث فرسخ، والفرسخ خمسٌ وعشرون غلوة أي رمية بالسهم عن القوس، الجواد: الفرس المعجب بحسنه، والمضمر المعد للسباق.

١٠٠- الحديث المئة في درجات الجنة

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «في الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين مئة عام». أخرجه (ت) [٦] وأخرج هو أيضًا عن عبادة بن الصامت ﷺ، قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - في الجنة مئة درجة، ما

---

(١) جامع الأصول: حديث رقم (٨٤٧٤)، وهو في سنن الترمذي (٢٥٢٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي وغاية المرام (٣٧٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٢٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٣) البخاري (٣٢٤٣) وَ(٤٨٧٩)، مسلم (٢٨٣٨).

(٤) البخاري (٣٢٥١) وَ(٣٢٥٢)، مسلم (٢٨٢٦) وَ(٢٨٢٧).

(٥) مسلم (٢٨٢٨).

(٦) جامع الأصول: حديث رقم (٨٠٣٢)، وهو في سنن الترمذي (٢٥٢٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٢).

من كل درجة ودرجة، كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تُفجّرًا أنهار الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس الأعلى،[١] وأخرج (ت): أيضًا عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - أن في الجنة مئة درجة، لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم.[٢]

الشرح:

الدرجة: المرقاة، والدرجة أيضًا المرتبة والطبقة، وهو المراد في الحديث، قالوا: ولم يرد - صلَّى الله عليه وسلم - حصر درجات الجنة في المئة بل ذُكْر بعضها، قوله: كما بين السماء والأرض، أي: واحدة أو ثنتان أو ثلاث وسبعون سنة على قال - صلَّى الله عليه وسلم - في الحديث التاسع والعشرين فيحتاج إلى التوفيق بينه وبين ما قبله وهو قوله: مئة عام. الفردوس: البستان بلسان الروم، وقال الفراء: هو عربي، والفردوس أيضًا حديقة الجنة، وقيل: هو وسط الجنة وأعلاها درجة، ويؤيده لفظ الحديث، والمراد بأنهار الجنة الأربعة ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد:١٥]، روى الأزهري عن ابن عباس ﷺ قال: العرش مجلس الرحمن، وروى الأزهري عنه أيضًا أنه قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره، وعن كعب أن العرش كالقنديل معلق من السماء والأرض، وقيل: إنه من ياقوتة حمراء، العالمون: أصناف الخلق لقوله تعالى: رب العالمين، هو رب الكل، وقيل: الأنس والجن خاصة لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، ولم يكن نذير إلا للأنس والجن، وقيل: ذوو العلم من الملائكة، والثقلين، وقيل: كل ذي رَوح، وواحد العالمين عَالَم وهو اسم موضوع للجمع، لا وحده من لفظه.

تم الكتاب بعون الملك الوهاب على يد العبد الضعيف النحيف المحتاج إلى رحمة ربه اللطيف الوهاب أحمد عمر حسن أنبته الله تعالى نباتًا حسنًا

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٣١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢١).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٣٢)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٨٨٦).

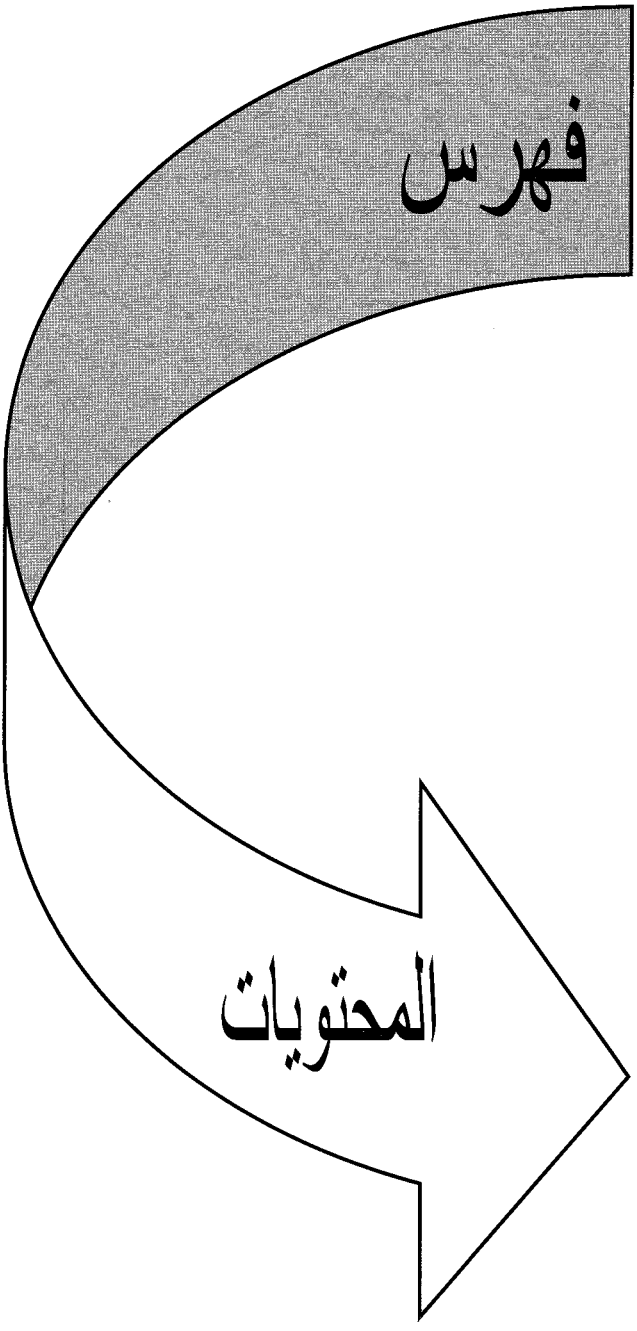
فهرس
المحتويات

فهرس المحتويات

المقدمة ٣

أضواء على ترجمة المؤلف ٥

اسمه ٥

عصره ٥

نشأته ٦

حياته في بلاد الأناضول ٦

هل رحل المؤلف إلى مصر؟ ٧

المؤلف في دار السَّلْطَنة (قُونية) ٨

عقيدته ومذهبه ٩

سَجاياه وأخلاقه ١٢

اشتغاله بالتدريس ١٣

مؤلفاته ١٣

مِن نَظْمه و شعره ١٥

تلاميذه وأصحابه ١٥

سماعه الحديث على صدر الدين القونوي ١٩

أكان المؤلف واقفاً على عَقْد القونوي الفلسفي؟ ٢٠

موقف المؤلف من الجلال الرومي ٢٤

علاقة الصدرِ القونوي، شيخِ المؤلف، بالجلال الرومي ٢٦

وفاته ٢٩
تحقيق الكتاب ٣٣
نسبة الكتاب إليه ٣٣
تاريخ تأليفه الكتاب ٣٤
مخطوطة الكتاب ٣٤
منهج التحقيق..... ٣٥
نماذج من صور المخطوطات..... ٣٦
كنز الحكمة: النص المحقق..... ٣٩
مقدمة المصنف ٤١
النص المحقق ٤٣
١- الحديث الأوَّل في فضل العلم والعلماء ٤٣
٢- الحديث الثاني في المفتي بغير علم ٤٤
٣- الحديث الثالث في بيان الإسلام والإيمان وغيرهما ٤٤
٤- الحديث الرابع؛ في الحث على التمسك بالقرآن المجيد وبسيرة أهل البيت ٤٧
٥- الحديث الخامس؛ في الحثِّ على التمسُّك بالقرآن المجيد أيضًا.....٤٨
٦- الحديث السادس في لزوم السُّنَّة، ومجانبة البدعة ٤٩
٧- الحديث السابع، في تمثيل ما بُعِث به النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلم - من الهُدى والعلم..٥١
٨- الحديث الثامن؛ في غَلَبَة الشَّهوة، ودواعي النَّفْس الأمَّارة بالسوء على نصيحة الرسول وموعظته صلَّى الله عليه وسلم ٥٢
٩- الحديث التاسع، في الرِّفق في العبادة والاعتدال فيها.....٥٣
١٠- الحديث العاشر؛ في معنى الذي قَبْله ٥٤
١١- الحديث الحادي عشر، في معنى اللَّذين قبله ٥٥

١٢- الحديث الثاني عشر؛ في النهي عن المنكر ٥٦
١٣- الحديث الثالث عشر؛ في معنى الذي قبله ٥٦
١٤- الحديث الرابع عشر في الحث على فعل الخير وترك الشرِّ ٥٧
١٥- الحديث الخامس عشر؛ في بيان ما للإنسان من ماله ٥٨
١٦- الحديث السادس عشر؛ في الحث على قراءة القرآن ٥٩
١٧- الحديث السابع عشر، في حب الله تعالى للتوبة ٦٠
١٨- الحديث الثامن عشر؛ في شُكر المنعِم، وغيره ٦٠
١٩- الحديث التاسَع عشَر، في الحث على الجهاد ٦١
٢٠- الحديث العشرون، في ذمِّ طالب الدنيا، ومدح المجاهد في سبيل الله ٦٣
٢١- الحديث الحادي والعشرون، في صِدْق النِّيّة ٦٤
٢٢- الثاني والعشرون؛ في الخيانة ٦٥
٢٣- الحديث الثالث والعشرون، في فضل الشهداء ٦٦
٢٤- الحديث الرابع والعشرون، في عدد الشهداء ٦٦
٢٥- الحديث الخامس والعشرون؛ في النهي عن التنازع في القدر ٦٧
٢٦- الحديث السادس والعشرون؛ في بيان حق الحياء ٦٨
٢٧- السابع والعشرون فيما يباح من الحسد ٦٨
٢٨- الحديث الثامن والعشرون، في الحرص ٦٩
٢٩- الحديث التاسع والعشرون، في بعد ما بين السماوات ٦٩
٣٠- الحديث الثلاثون، في جحود آدم ما وعد به ٧٠
٣١- الحديث الحادي والثلاثون في النهي عن مخالطة الأمراء الظلمة مع مداهنتهم ٧٢
٣٢- الحديث الثاني والثلاثون في فضل الذكر وشرفه ٧٣
٣٣- الحديث الثالث والثلاثون في معنى الذي قبله ٧٤

٣٤- الحديث الرابع والثلاثون في معنى اللذَين قبله ٧٤
٣٥- الحديث الخامس والثلاثون في قرب الله ﷻ من عبده المقبل عليه ٧٥
٣٦- الحديث السادس والثلاثون في فضل الفرائض والنوافل..... ٧٥
٣٧- الحديث السابع والثلاثون في اختلاف الملائكة في أفضل الأعمال ٧٦
٣٨- الحديث الثامن والثلاثون في الرياء ٧٦
٣٩- الحديث التاسع والثلاثون في الرياء أيضًا ٧٧
٤٠- الحديث الأربعون في الدين يقولون مالا يفعلون..... ٧٨
٤١- الحديث الواحد الأربعون في بيان حقيقة الزهد ٧٨
٤٢- الحديث الثاني والأربعون ٧٩
٤٣- الحديث الثالث والأربعون في النهي عن مساوئ الأخلاق..... ٨٠
٤٤- الحديث الرابع والأربعون في فضل المتحابين في الله ﷻ ٨١
٤٥- الحديث الخامس والأربعون في فضل الإحسان والعلم وقراءة القرآن مع الجماعة في المسجد..... ٨٢
٤٦- الحديث السادس والأربعون في فضل الصدقة: ٨٣
٤٧- الحديث السابع والأربعون في فضل العبادة والصدقة (حديث قدسي) ٨٤
٤٨- الحديث الثامن والأربعون في فضل إخفاء الصدقة ٨٥
٤٩- الحديث التاسع والأربعون في وقوع الصدقة في غير محلها ظاهرًا ٨٥
٥٠- الحديث الخمسون في بيان حق المسلم على المسلم ٨٦
٥١- الحديث الحادي والخمسون في الجليس الصالح وضده ٨٦
٥٢- الحديث الثاني والخمسون في حبِّ الله تعالى للعبد وبغضه له..... ٨٧
٥٣- الحديث الثالث والخمسون في من يحبهم الله تعالى ومن يبغضهم ٨٨
٥٤- الحديث الرابع والخمسون في الحث على النصح والإحسان..... ٨٩
٥٥- الحديث الخامس والخمسون في فضل رد الغيبة في الغيبة ٩٠

٥٦- الحديث السادس والخمسون في النهي عن تتبع العورات..... ٩١
٥٧- الحديث السابع والخمسون في فضل الوضوء وذم المبدلين سنة نبيهم بعده ٩١
٥٨- الحديث الثامن والخمسون في فضل صلاة الضحى..... ٩٢
٥٩- الحديث التاسع والخمسون في أصول أعمال البر..... ٩٣
٦٠- الحديث الستون فيمن يظله الله بظله يوم القيامة..... ٩٤
٦١- الحديث الحادي والستون في الوصية عند وقوع الفتن..... ٩٥
٦٢- الحديث الثاني والستون في زيادة فضل العبادة في آخر الزمان ٩٦
٦٣- الحديث الثالث والستون في الحثِّ على متابعته -صلَّى الله عليه وسلم،وعلى متابعة أصحابهﷺ..... ٩٦
٦٤- الحديث الرابع والستون في العمل مع القدر..... ٩٧
٦٥- الحديث الخامس والستون في معنى الذي قبله..... ٩٨
٦٦- الحديث السادس والستون في محاجة آدم وموسى عليهما السلام ٩٩
٦٧- الحديث السابع والستون في فضل القناعة والخمول..... ١٠٠
٦٨- الحديث الثامن والستون في الحثَّ على اجتناب الحرام والشبهة ١٠١
٦٩- الحديث التاسع والستون في معانٍ شتى (حديث قدسي) ١٠٢
٧٠- الحديث السبعون في ذم الأخلاق الرديئة ١٠٣
٧١- الحديث الحادي والسبعون في الحث على الإعراض عن الدنيا، والإقبال على الآخرة. ١٠٤
٧٢- الحديث الثاني والسبعون في ذم إضافة الأمطار إلى الأنواء..... ١٠٤
٧٣- الحديث الثالث والسبعون في وصية النبي - صلَّى الله عليه وسلم - لابن عباس ﷺ.... ١٠٧
٧٤- الحديث الرابع والسبعون في الأمر بجمل من مكارم الأخلاق..... ١٠٨
٧٥- الحديث الخامس والسبعون في علامة الشاكر والصابر..... ١٠٩
٧٦- الحديث السادس والسبعون في صلاة التسبيح ١١٠

٧٧- الحديث السابع والسبعون في صلاة الاستخارة ١١١
٧٨- الحديث الثامن والسبعون في صلاة الحاجة ١١٢
٧٩- الحديث التاسع والسبعون في الدعاء: ١١٢
٨٠- الحديث الثمانون في اسم الله الأعظم، والأدعية المجربة في سرعة الإجابة ١١٤
٨١- الحديث الحادي والثمانون في منام طويل رآه رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - ١١٧
٨٢-الحديث الثاني والثمانون في الإسراء ١٢٠
٨٣-الحديث الثالث والثمانون في الخوف ١٢٦
٨٤-الحديث الرابع والثمانون في الخوف أيضًا ١٢٦
٨٥- الحديث الخامس والثمانون في الاقتصاص من الظلمة يوم القيامة ١٢٧
٨٦- الحديث السادس والثمانون في كلام القبر، وكونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ١٢٨
٨٧- الحديث السابع والثمانون في سؤال منكر ونكير ١٢٩
٨٨- الحديث الثامن والثمانون في رجاء قبول التوبة مع الإسراف في الذنوب ١٣٠
٨٩- الحديث التاسع والثمانون في سعة رحمة الله تعالى ١٣١
٩٠- الحديث التسعون في سعة مغفرة الله تعالى ١٣٢
٩١- الحديث الحادي والتسعون في ثمرة الخوف ١٣٣
٩٢- الحديث الثاني والتسعون في أن أمة رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - نصف أهل الجنة ١٣٣
٩٣- الحديث الثالث والتسعون في رؤية الله تعالى يوم القيامة وفي سعة رحمته وغير ذلك ... ١٣٥
٩٤- الحديث الرابع والتسعون في معنى الذي قبله ١٣٧
٩٥- الحديث الخامس والتسعون في كرم الله ﷻ ١٤١
٩٦- الحديث السادس والتسعون في بعض نعيم أهل الجنة ١٤٢

٩٧- الحديث السابع والتسعون في شفاعة رسول الله -صلَّى الله عليه وسلم - ١٤٣
٩٨- الحديث الثامن والتسعون في قبض روح المؤمن والكافر ١٤٦
٩٩- الحديث التاسع والتسعون في صفة الجنة ١٤٦
١٠٠- الحديث المئة في درجات الجنة ١٤٧
فهرس المحتويات **١٥١**